مجلة

المنار

المجلد الثاني والعشرون

الجزء الثامن و التاسع

إهداء من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net



— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٢٩ ذي الحجة ١٣٣٩ ـ ١٩ السنبلة (ص ٣) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القياس في العربية

« للاستاذ العلامة الشيخ محمد الخضر »

الحمد لله الذي جعل العربية أشرف لسان ، وأنزل كتابه المحكم في أساليبها الحسان ، والصلاة والسلام على من بهر البلغاء بلهجته البارعة ، وعلى آله وصحبه العاملين على منوال حكمته الرائعة ، أما بعد فقد كنت أيام دراستي لعلم العربية امر على احكام تختلف فيها آراء علمائه فيقصرها أحدهم على السماع ويأذن الآخر في القياس عليها دون ان يذكروا الاساس الذي قام عليه الخلاف ، فأرى التمسك بمثل هذه الاقوال من التقليد الذي لا ترتاح اليه النفس ولا سيما حين اذكر ان كثيراً من أصحاب هذه الاقوال قد تلقوا العربية من كتب يمكننا الاستقاء منها ، فأخذت ألفت نظري الى الاصول العالية التي يراعونها في أحكام السماع والقياس حتى ظفرت بقواعد وقفت على تفاريق منها في صريح كلامهم وانتزعت شذورا أخرى من موارد أحكام جزئية تقصيت آثارها في ابواب شتى

ولما شرعت في مدينة دمشق بمطالعة بعض الكتب العربية كغني اللبيب بحضر طائفة من أذكياء الطلبة كنت أذهب في تقرير مسائل السماع والقياس على تلك الاصول التي لم تدخل بعد في سلك التأليف ، وعند هذا اقترح علي أولوا الجد منهم جمعها وتحريرها ليكونوا على بينة منها خلال المطالعة فطاوعتهم على ما اقترحوا حتى تكاملت في مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه وتحرر مواقعه واحكامه

تمهيد

لا يكون الكلام عربياً فصيحا الا اذا صحت مفرداته واستقام تأليفها ، أما صحة مفرداته فني النطق بحروفه على مقتضى الوضع من غير ان تغير بنقص أو زيادة أو ابدال او قلب في هيأة ترتيبها أو حال حركتها وسكونها ، وأما استقامة تأليفها فبانطباقها على أسلوب نسجت عليه العرب في مخاطباتها . ولا تتحقق هذه المطابقة الا برعاية احكام التقديم والتأخير والاتصال والانفصال والحذف والذكر

وهل نتوقف في اطلاق الكلم وتأليفها على معرفة وضعها الخاص ونظمها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوارد بحيث لانستعملها حتى يثبت لدينا من طريق الرواية كيف نلق بها العرب ؟ او أبقى واضع اللغة طريق القياس مفتوحا فيسوغ لنا ان نلحق الكلم بأشباهها في هيأة مبانيها او نسق تركيبها ونسوى بينهما في الاحكام اذا أعوزنا السماع؟

هذا موضع تشعبت فيه انظار الباحثين في العربية ، فبعد اتفاقهم على العمل بالقياس وتضافر عباراتهم على انه من مآخذ اللغة غلا بعضهم في التملق به واتسم في مجاله الى ما يخرج بالكلام عن صبغته العربية ، وضيق آخرون الغاية الى حد يقرب من موقف الجامد على الرواية في اوضاع الكلم وتصرفاتها

وقد اتخذ المحققون بين هذين الطرفين مسلكا يبقي على اللغة شعارها ويبسط في نطاقها بمقدار ما يتسوغه ذوق آكل الشيح والقيصوم

ولا نجد عالما مفردا او أهل بلد اطردوا في هذه الجادة ولم يحيدوا عنها في قضية فكانت جميع أقوالهم في محل الاعتدال ، بل ترى القول الحق والقياس الوسط يدور بين مذاهبهم فيصيبه هذا تارة ويجوزه مخالفه تارة أخرى ، وذلك شأن العلوم التي يستند في تقرير قوانينها الى اجتهادات العقول

الحاجة الى القياس

وضعت اللغات ليعبر بها الانسان عما يبدو له من المآرب ويتردد في ضميره من المعاني ، ومن البين جليا ان المعاني تبلغ في الكثرة الى ان تضيق عنها دائرة الحصر ، وتنتهي دونها ارقام الحاسبين ، فلم يكن من حكمة الواضع ان روى ان وضع لبعض المعاني الفاظا عينها كالسماء والمطر والنبات ، ولوح الى البقية بمقاييس تصاغ الكلم في قوالبها فتدخل في زمرة ماهو عربي فصيح

ولولا هذه المقاييس لكانت اللغة اضيق على المتكلم بها من مفحص قطاة لبغم في نقيصة العي والفهاهة ، ويكثر من الاشارات التي تخرج به عن حسن السمت والرصانة ، ويرتكب التشابيه محاولا بها تقريب المرام من فهم المخاطب لا كما يستعملها اليوم حلية للمنطق ومظهرا من مظاهر البلاغة

ولو فرضنا صحة ان يوضع لكل معنى لفظ يختص به كأن نجنح الى ان منشىء اللغة هو مبدع الخليقة لكان الحرج الذي تقع فيه اللغة ان تضيق المجلدات الضخمة عن تدوينها ، وتعجز النفوس البشرية عن حفظ مافيه كفايتها فالقياس طريق يقرب به تناول اللغة ووسيلة تمكن الانسان من النطق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بآلاف من الكلم والتراكيب دون ان تقرن سمعه أو يحتاج في معرفتها الى مطالعة القاموس أو اللسان

وربما يلوح لك ان الالفاظ المرادفة تغني عن القياس في الكلم المفردة لو صرفها الواضع الى المعاني التي لم يعين لها اسماء . فنقول ان للمترادفات مجالا فسيحا وأثرا بليغا في الفصاحة والبلاغة ، فلا يصح ان تكون العربية مادية منها . ثم انها على كثرتها لا تبلغ ان تسد مسد القياس في مثل المصادر والافعال والاوصاف المشتقة وجموع التكسير فضلا عن كون الكثير من هذه المترادفات انما نشأت من لغات متعددة

ما القياس ؟

يسند القياس أحيانا الى العرب أنفسهم فيكون من قبيل التنبيه على علة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح ، كما قال النحاة اعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم وعمل اسم الفاعل قياسا على الفعل ، ودخلت الفاء خبر الموصول في مثل قولهم « من يأتيني فله درهم » قياسا للموصول على الشرط

ويضاف تارة الى الباحثين عن أحوال اللفظ العربي فيراد منه أحد معان ثلاثة (أحدها) ان تعمد الى اسم ورد استعماله في معنى يشتمل على وصف يناسب التسمية كالخمر فتعديه الى معنى آخر تحقق فيه ذلك الوصف وتجعله من مدلولاته كالنبيذ تعديه فيما يتناوله اسم الخمر حيث كان يخمر العقل ويستره ، وهذا النوع من القياس هو الذي يعنيه المحققون من الاصوليين بقولهم لا تثبت اللغة بالقياس

(ثانيها) الحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كصيغة التصغير والنسب والجمع ورفع الفاعل وبناء العلم والنكرة المقصودة في النداء

(ثالثها) اعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها مما هو مخالف لها في نوعها كما اجاز الجمهور ترخيم المركب المزجي قياسا على الاسماء المنتهية بتاء التأنيث ، واجاز ابن مالك حذف العائد المجرور في الصلة اذا تعين حرف الجر قياسا على حذفه في الجملة الخبرية ، والمعنيان الاخيران هما موقع النظر ومجال البحث في هذه المقالات وآثرت للفرق بينهما التعبير عن الاول بالقياس الاصلي وعن الثاني بقياس التمثيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكلم أحوال في نفسها، وأحوال من جهة ما يقترن بها، فيتوجه النظر في القياس الى الاحوال العارضة لها من حيث مبانيها المفردة كاشتقاقها ووزنها ثم الى الاحوال الجارية عليها من جهة نظم بعضها في سلك بعض، وترجع احوال النظم الى الاتصال والانفصال والتقديم والتأخير والحذف والذكر والعمل والاعراب والبناء والاستعمال. فكان المقصد من هذا التحرير يدور على البحث في القياس الاصلي والقياس التمثيلي ومباحث مشتركة بينهما

المقالة الاولى في القياس الاصلي

ما يقاس عليه

يجمع اللسان العربي تحت اسمه لغات شتى، ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يسيرا مثل اختلافها في بعض أحوال الكلم من حركة وسكون او اعراب وبناء أو اعمال واهمال أو ترتيب حروفها أو ابدال بعضها من بعض أو زيادة والحذف

تتفاوت هذه اللغات بالجودة وفصاحة اللهجة، وجميعها مما يصح القياس عليه، قال ابن جني في الخصائص: اللغات على اختلافها كلها حجة والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ. وقال أبو حيان في شرح التسهيل: كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه وقال البغدادي في شرح الفصيح المشهور في كلام العرب ماء ملح ولكن قول العامة ملخ لا يعد خطأ وانما هو لغة قليلة. ومن اعتمادهم على هذا الاصل كان الصحيح عندهم جواز القياس في تقديم عامل كم الخبرية عليها لانه لغة حكاها الاخفش عن بعض العرب

ويعتمد في تقرير الاحكام اللغوية على أقوال الجاهلية كامرئ القيس وزهير، والمخضرمين كحسان ولبيد، والاسلاميين كالفرزدق وجرير وذي الرمة. أما المحدثون ويدخل في زمنهم بشار بن برد وأبو نواس وأبو تمام فلا يصول في الاستشهاد على اوضاع الكلم واحوالها التركيبية على شيء من منشآتهم أو منظوماتهم، ولهذا ترى النحوي يدون ما وقع للمحدثة والملحنين حيث وقعوا فيما يخالف القواعد المسلمة، واذا كان الخلل الذي لم تطابقه عبارتهم من مواقع الخلاف أقام لهم العذر بأنهم قد يبرئ كلامهم على المذهب الضعيف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

م اذا عثر على مثل صنيعهم الصادر من الجاهليين أو الاسلاميين لا يسعه الا ان يقضي فيه بالشذوذ أو يقتحم في تصحيحه طريقة التأويل

وقال الزمخشري في كشافه بعد ان استشهد بشعر لابي تمام « وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » وتلقى هذه المقالة الشهاب بسماع المقلد فقال في شرح الدرة « اجعل ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه » وقد كشفنا فيما كتبناه في حياة اللغة العربية عن وجه الخطأ في هذه المقالة ، وكيف يحتج بأقوال هؤلاء وقد عثروا في اغلاط كثيرة لا يستطيع أحد السبيل الى تخريجها على محمل صحيح ، فهذا أبو نواس يقول : —

واذا نزعت عن الغوايه فليكن ذاك النزع لا للناس

والصواب في مصدر نزع عن الشيء انما هو النزوع

وهذا أبو تمام يقول : —

لعذلته في دمنتين تقادما ممحوتين لزينب وسعاد

والصواب تقادمتا

وهذا المتنبي يقول : —

فان يك بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

والصواب في جمع بوق بوق كصرد او ابواق

ومن لا يعتمد في تقرير احكام اللغة على استعمال المحدثين يرى ان استناد بعض المتأخرين في تصحيح بعض الكلم الى استعمال أحد أهل العلم غير سديد ، يرد بعضهم على صاحب القاموس في قوله « الانموذج لمن » بأن الزمخشري سمى كتابا له بالانموذج ، والنووي عبر به في المنهاج عند قوله « انموذج المتمائل » وهو رد غير مبني على أصول العربية اذ لا حجة الا في كلام من ينطق بالعربية عن سليقة ، وهذا الشرط لا يتحقق في أبناء المائة الخامسة كالزمخشري أو المائة السابعة كالامام النووي رضي الله عنه ، وكم من امام في العربية ينطق أو يؤلف بعبارة تخالف مذهبه الصريح ، أفلم يشترط ابن هشام في كتاب المغني لدخول هاء التنبيه على الضمير كون خبره اسم اشارة ولم يحتفظ بهذا الشرط فقال في خطبة الكتاب نفسه « وهاأنا بائح » ووهم صاحب القاموس في هذه الهفوة بعينها فشرط لاتصال حرف التنبيه بالضمير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماشرطه ابن هشام من الاخبار عنه باسم اشارة ولم يقم على ماشرط فقال في خطبة كتاب القاموس « وهنا أنا أقول »

ويؤكد لك عدم صحة الاحتجاج بما يستعمله علماء العربية ان صاحب القاموس صرح بأن كلمة بعض لاتدخلها اللام وهو يعلم كما نقل عقب هذا الحكم ان سيبويه والاخفش قد استعملاها في كتابيهما

ونحتج بالكتاب الحكيم ونعمل بالقياس على ظواهره ماطابقت مقتضى البلاغة ، ولا نتبع سبيل الذين يحيدون به الى جانب التأويل انتصاراً لما سبق الى ظنونهم وتقرر في مذاهبهم من أحكام فقهية أو عربية ، قال الفخر الرازي في تفسيره : اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول لجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى . وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن فاذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلا على صحته فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحته كان أولى ، وقال ابن حزم في كتاب الفصل : ولا عجب أعجب ممن ان وجد لامرىء القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة أو الطرماح أو لاعرابي اسدي أو سلمي أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظا في شعر او نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم اذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما لم يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في احالته عما أفهمه الله عليه

ومن أمثلة ما اشار اليه ابن حزم انه ورد الفصل بين المصدر المضاف وفاعله المضاف اليه بالمفعول به في قوله تعالى (قتل أولادهم شركائهم) كما قرأ ابن عامر بنصب أولادهم وخفض شركائهم فقضى عليها الزمخشري بالخطأ وقال الذي حمل ابن عامر على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ، وذهب السكاكي في مفتاحه الى تلقي القراءة بالتسليم وفاقا لمن يقول ان القرآت السبع متواترة ولكنه تأول الآية على تقدير مضاف اليه يتصل بقوله « قتل » ومضاف عند قوله « شركائهم » والمقدر في الموضعين من نوع المنطوق به فيكون سبك الآية بعد التصريح بالمقدر « قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم » ثم قال وهذا وان كان فيه نوع من البعد فتخطئة الثقات والفصحاء ابعد

والذي نعتمده في مثل هذا ان نتلقى القراءة المتواترة بالقبول ولا نحمل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الآية مالا تطيقه بلاغتها من اعباء هذه التقادير وتعسفها كما صنع السكاكي بل نبقيها على ظاهرها ولا نسلم ان الفصل في مثل هذا مخالف للفصاحة ولاسيما بعد ان أورد له ابن جني في الخصائص شواهد متعددة

ولا اخال أحدا يعول في مثل هذا على ذوقه فيقول ان الذوق ينفر من صورة المعنى الذي يفصل فيه بين المضاف والمضاف اليه بأحد معمولات المضاف، فان مثل هذا لا يرجع فيه الى ملاءمة الطبع بل مداره على مايجري به الاستعمال ويثبت في الرواية فما نجده واردا في الكلام الفصيح نعلم انه لا يكدر من مشرب الفصاحة العربية ولا يثلم من سور البلاغة فتيلا

ومما يقرب لك ان حكم الفصل بين الكلام لا يرجع فيه الى الذوق وانه عائد الى مايسمع من كلام المشهود له بالفصاحة في تلك اللغة ان اللغات تختلف فيه اختلافا كثيراً ، ففي اللسان الالماني مثلا يفصلون بين اداة التعريف والمعرف بجمل كثيرة ، وربما كان الفعل مركبا من قطعتين فيضعون القطعة الاولى في صدر الكلام ويلقون الاخرى في نهايته فيتفق ان يكون بين القطعتين كلمات فوق العشرة ، وتراهم يفصلون بين علامة الاستقبال والفعل بجمل متعددة ، ولا شبهة ان ارتباط اداة التعريف بالمعرف أو بعض اجزاء الكلمة ببعض أو علامة الاستقبال بأصل الفعل أشد من ارتباط المضاف بالمضاف اليه. فلا حرج على اللغة ان تبيح الفصل بين المضاف والمضاف اليه ولاسيما حيث تكون علاقة الفاصل بالاسم المضاف ليست من علاقة المضاف اليه ببعيدة كالمفعول به

وأما الحديث النبوي فقد جرى الجمهور على عدم الاحتجاج به لكثرة ما وقع فيه من الرواية بالمعنى واعتد به ابن مالك وأخذ بالقياس عليه في أحكام شتى معتمدا على ان روايته باللفظ هي الاصل فنعمل بموجبها الى ان يثبت انه نقل بالمعنى ، ومن أمثلة ما احتج عليه ابن مالك بالحديث انه ورد في أبيات متعددة فعل الشرط مضارعا والجزاء ماضيا فاجاز الفراء وابن مالك العمل على هذا الاسلوب ، ومنعه الاكثر بدعوى ان ما وقع في تلك الشواهد من قبيل ما دفعت اليه الضرورة ، فاستدل ابن مالك على جوازه في حال العمة بما روى الامام البخاري من قوله عليه الصلاة والسلام « من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »

وقال ابن حزم عقب الكلام الذي نقلناه عنه في الاحتجاج بالقرآن واذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجد — يعني الباحث في العربية — لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمل به مثل ذلك — يعني الصرف عن وجهه والتحريف عن موضعه — وهو لقد كان محمد بن عبد الله قبل ان يكرمه الله بالنبوة وأيام كونه بمكة اعلم بسمه قومه وافصح فيها فكيف بعد ان اختصه الله للنذارة وانتباه الرسالة بينه وبين خلقه ؟ اه وكلام ابن حزم هذا لم يصادف المفصل في رد مذهب الجمهور اذ هم لم يمتنعوا من الاستشهاد بالحديث لقلة فصاحته وانما لم يأخذوا به في العربية لما عرفت من احتمال روايته بالمعنى

والحق ان الاحاديث التي تعددت أسانيدها ولم يختلف لفظها يبعد فيها احتمال الرواية بالمعنى فيصح الاحتجاج بها من غير شبهة

القياس على الشاذ

الحكم الذي ورد به السماع النادر أربعة أنواع (أحدها) ما لا يعارضه قياس ولا سماع آخر ، وهذا يكتفون في اطراده بالشاهد الواحد ولا يشترطون له السماع الفاشي ، ومن هذا قولهم شنأي في النسب الى شنوءة فقد اكتفى بها سيبويه وغيره وجعلوا القياس في النسب الى فعولة على الاطلاق فعلي ، ولم تقع اليهم من شواهده غير هذه الكلمة المفردة

(ثانيها) ما يخالف القياس والسماع ، وهذا لا يقفي فيه المثال النادر قطعا ، وقد عاد الاخفش عن قصد هذا السبيل حين سمع قولهم . هداوي في جمع هدية فجعله مقيسا في كل ما كان لامه ياء والحال انه لم ينقل منه الا هذه الكلمة الشاذة عن السماع والقياس اذ المسموع والموافق للقياس في مثل هذا بقاء الياء بحالها فيقال هدايا وعطايا ومزايا وبلايا وسرايا ودنايا

(ثالثها) ما يخالف القياس ولا يكون السماع مصادما له كما ورد تصغير فعل التعجب في قولهم : ما اميلحه وما احيسنه فهذا وارد على خلاف القياس اذ التصغير من خصائص الاسماء ولم تضرب فيه الافعال بسهم ، وصيغة التعجب من قبيل الافعال الماضية ، وانما كان تصغير الفعل غير مصادم للسماع لان العرب لم يدلوا على معنى التصغير فيه بصيغة أخرى حتى يقال هذه الصيغة أعني اميلحه واحيسنه مخالفة للمسموع

(رابعها) ما يطابق القياس ويخالف السماع كما ورد خبر عسى منصوبا في قوله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« عسى الغوير ابؤسا » وقوله « الى عسيت صائما »

وهذا مطابق للقياس لان الاصل في الخبر الافراد ، ومخالف للسماع اذ المعروف في خبر عسى مجيئه مضارعا مقرونا بان أو مجردا منها

وهذان القسمان أعني ما خالف القياس فقط أو السماع دون القياس هما محل الخلاف بين علماء العربية فالكوفيون يستدون بما ورد من ذلك على سبيل الندرة ويعملون بالقياس عليه . قال صاحب الافصاح : عادة الكوفيين اذا سمعوا لفظا في شعر أو نادر كلام جعلوه بابا أو فصلا ، والبصريون يمتنعون من القياس على الشاذ ويذهبون في مثله الى ان قائله نحا به خلاف ما يظهر منه ويردونه الى الاصل المعروف عندهم على طريق من التأويل ، وبعض النحاة كابن مالك لا يكلف نفسه تأويله ولا يقبله في موضع المطرد بل يصفه بالشذوذ أو انه خرج مخرج الضرورة ، والى هذه الطريقة أومأ ابن السراج في الاصول بقوله : ليس البيت الشاذ أو الكلام المحفوظ بادنى اسناد حجة على الاصل المجمع عليه وتأويل هذا كتأويل صفة الحديث واتباع القياس في الفقه . ومن أمثلة هذا النوع ذكروا في شروط افعل التفضيل ان لا يكون اصل الوصف على وزن افعل نحو ابيض واسود ولما جاء قول الشاعر :

جارية في درعها الفضفاض ابيض من اخت بني اباض

انزله الكوفيون منزلة المقيس عليه ، وتأوله البصريون على انه من « باض فلانا » اذا غلبه وفاقه في البياض ، وابقاه ابن مالك على ظاهره والقاه الى قسم المسموعات الشاذة .

والاصوب في كثير من الشواهد طريقة من يقضي عليها بالشذوذ ولا يذهب فيها مذهب التأويل فان من التأويلات التي يرتكبها بعض البصريين ما يكاد الناظر — لتعسفها وبعدها من نظم اللفظ — يقطع بانها لم تقع في قصد الشاعر ولا حامت حول قريحته

ومن الاقوال الشاذة ما لا تجد للتأويل فيه مدخلا ، ومن شواهده ان البصريين يمنعون ان تجمع الصفة التي لا تقبل تاء التأنيث جمع مذكر سالم نحو اسود واحمر ، واجازه الكوفيون تمسكا بقول الشاعر :

فما وجدت نساء بني تميم حلائل أسودين واحمرينا

ولا يتخلص البصريون من هذا الشاهد الا بطرحه الى النادر الذي لا يقوم عليه القياس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتأويل انما يقتحمه البصريون اذا كان الحرف المخالف للمعروف في اللسان واردا عن فرد أو فردين ممن يتكلم باللغة المألوفة ، واما اذا ثبت انه لغة قبيلة فلا وجه لتأويله والخروج به عن ظاهره ، ولهذا أبطل ابن هشام تأويلات أبي علي الفارسي وابي فراز لقولهم « ليس الطيب الا المسك » برفع المسك لان أبا عمرو بن العلاء أثبت ان رفع خبر ليس الواقع بعد « الا » لغة تميم . والتحقيق او الشاذ على قسمين

أحدهما — أن يكون في كلام العرب سائراً على سنة معروفة ووضع عام فقسم الكلمة أو الكلمتان ممن لا يعرف بالفصاحة وهي تخالف المعروف في الاسلوب فهذا لا نقيس عليه قطعاً ، بل الكلمة ونحوها لا تنقض بها القاعدة التي يجري عليها الفصحاء في عامة مخاطباتهم ولو نقلت عن فصيح اذ يجوز ان تكون صدرت منه على وجه الغلط أو القصد الى تحريف اللغة ، فان السنة الفصحاء قد تقع في مزلة الخطأ أو تطوع لهم نفوسهم فيقصدوا الى تغيير الكلمة عن وضعها المألوف كالزل ونحوه

ثانيهما — ما يرد في الكلام الفصيح وتحقق انه لم يصدر عن خطأ أو تلاعب في أوضاع اللغة مثل آيات الكتاب الحكيم والاحاديث التي تعددت اسانيدها ، فهذا يصح لنا ان نضعه بمكان القياس وننسج على منواله وان اباه البصريون والكوفيون ، فلا نبالي ان نؤكد بلفظ « اجمعين » منفردة عن لفظ « كل » وان منعه اكثرهم لوروده في قوله تعالى (لاغوينهم اجمعين — وان جهنم لموعدهم اجمعين — لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين)

القياس فيما يفتقر الى التأويل

قد يستعمل نوع من الكلام على وجه شائع ولا يستقيم المعنى الا بتأويله ، ومقتضى مذهب الجمهور المنع من القياس عليه ولو كان وجه تأويله مما يسوغه القياس ، وهذا كما قالوا في المصدر الذي كثر مجيئه نعتاً وحالا انه مقصور على السماع ، مع انهم يؤولون ما ورد منه على تقدير مضاف أو تخريجه على مجاز . وقالوا ان اسم الزمان لا يخبر به عن الذات ، وأولوا نحو قولهم (الليلة الهلال) على تقدير لفظ طلوع مضافاً الى الهلال . والحق ان المنع من القياس في مثل هذا مشروط بما اذا لم يقصد المتكلم الى تأويل قريب ووجه مقيس وهو مذهب ابن مالك ، اما اذا نوى اسم معنى يضيفه الى ما بعده واستقام به المراد فانه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يلتحق بسائر الجمل التي يحذف فيها المضاف لقرينة تشير اليه

ومن هذا القبيل انكار الحريري لقولهم « هو قرابتي » وليس بمنكر من القول مني علم المتكلم بان القرابة مصدر وعمد الى اطلاقه على ضرب من المجاز أو التقدير ، ويدخل في هذا الصدد حكم صاحب المصباح على قولهم « اذن الصبح » بالخطأ مع ان اسناد الفعل الى زمانه على وجه المجاز ليس بعزيز ، وانما يحكم عليه بالخطأ اذا لم يصدر من بليغ ينحو بالكلام نحو خلاف الظاهر . ويشاكل هذا قول ابن قتيبة في أدب الكاتب « الملة يذهب الناس الى انها الخبزة » فيقولون : اطعمنا ملة . وذلك غلط انما الملة موضع الخبزة قال ابن السيد في شرحه « وليس يمتنع عندي ان تسمى الخبزة ملة لانها تطبخ في الملة كما يسمى الشيء باسم الشيء اذا كان منه بسبب أو يخرج على حذف المضاف أي خبز ملة » والصحيح ما عرفته من ان التخطئة في مثل هذا او التصويب مما يرجع فيه الى حال المخاطب اذ الذي يطلق الملة على نفس الرغيف ويظهر لك من قرينة حاله أو صريح مقاله انه اطلقها عن اعتقاد أنها موضوعة له بوضع حقيقي لا يخلص من سهام التخطئة ولو احتملت عبارته وجوهاً في التأويل متعددة

وحكم ابن قتيبة على قول العامة « نجوع الحرة ولا تأكل بثديها » بانه خطأ ، وقال : الصواب بثديها . فقال ابن السيد أما مايذهب اليه العامة من ان المعنى لا تأكل لحم ثديها فهو خطأ ، ولكن يجوز على التأويل بحذف المضاف أي اجر أو ثمن ثديها أو على المبالغة بجعل أكلها لاجر ثديها بمكان أكل الثديين انفسهما . والتفصيل الذي سبق من النظر في مثل هذا الى حال المتكلم يجري هنا لولا ان العبارة مثل ، فمن قصد بها ضرب المثل على ماورد فقد اخطأ من جهة تحريف المثل وان كان التركيب في نفسه صحيحا

وجه اختلافهم في القياس

من الجلي ان العرب لم يصرحوا بعمل القياس في شيء من أوضاع كلامهم وانما علماء اللسان يتتبعون موارده ويتعرفون احواله فاذا وقفوا على حال في مفردات الالفاظ أو مركباتها قد عمل العرب بها على وجه منضبط ركبوا منها قاعدة ليقاس على تلك الموضوعات المسموعة مالم ينقل من نظائرها

فمن اسباب اختلافهم في القياس ان يتوفر لدى العالم من استقراء الآحاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما يكفي لتركيب القاعدة فيجيز القياس ، ولا يبلغ الآخر بتتبعه مقدار ما يؤخذ منه حكم كلي فيمنع أن يكون مقيساً

وقد يتساوى الفريقان فيما عرفوه من الشواهد ويكتفي به احدهما في فتح باب القياس عليه ، ويستقله الآخر فلا يتخطى به موضع السماع . وهذا كاختلافهم في فعل المعتل العين فيظهر من كلام سيبويه ان جمعه على افعال مطرد . وذهب ابن مالك في التسهيل الى انه غير مقيس ، ويرجح خلافهما الى ان ماورد من نحو مال واموال وخال وأخوال وحال واحوال وناب وانياب وباب وابواب هل بلغ مقداراً يكفي لان يجعله مطرداً أم لا ؟ ومن هذا القبيل اختلافهم في جمع الجمع ، فقد ورد منه نحو العشرين كلمة ، وسبب اختلافهم في جعله مقيساً انما هو تفاوت أنظارهم في ان ما سمع — : هل هو من الكثرة بحيث يقاس عليه او انه لاينهض به حتى يجعله مطرداً ؟

وقد يختلفون في القياس نظراً الى مايقف لهم من الاحوال التي تعارض السماع ، فالكوفيون الذين يكتفون في بعض الاقيسة بالشاهد الواحد قالوا : ان صيغة المبالغة فعال ومفعال وفعول لاتعمل عمل اسم الفاعل . واخذوا يؤولون الشواهد التي سردها البصريون واعتذروا عن عدم قبولها والاخذ بظاهرها بان اسم الفاعل انما عمل لشبهه بالفعل المضارع في وزنه والصيغ المذكورة لم تحرز الوزن الذي قرب اسم الفاعل من اصله الذي هو المضارع ، والحقها البصريون بمنزلة اسم الفاعل حسب ما شهدت به الرواية وهدموا ما اعتذر به الكوفيون اذ قالوا في جوابهم : ان المبالغة التي قوي بها المعنى في تلك الابنية جبرت ماتقصها من الشبه في اللفظ ، فتقابل مشابهة اسم الفاعل للمضارع في اللفظ بزيادة المعنى الذي اختصت به أبنية المبالغة فتحصل الموازنة والتساوي في طلب العمل من غير تفاوت .

تعارض السماع والقياس

اذا تتبعنا جملة من أقوال العرب حتى قامت لنا من استقرائها قاعدة ، ثم وقعت الينا أمثلة نطقوا فيها على خلاف ما تقتضيه هذه القاعدة ، فهل نأخذ في هذه الامثلة بالقياس أو نقف فيها عند حد السماع ؟

هذا النوع تعددت صوره وتشعبت مقالات العلماء في حكمه ، وسنلقي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليك ماتراه صفوة آرائهم وخلاصة بحثهم

للامثلة الواردة على خلاف ما تقرر في الاصول أربعة أقسام (أحدها) كلمة أو كلمات قليلة تدور في مخاطباتهم كثيرا ولم ينطقوا فيها على وفق القاعدة ولو مرة مثل استحوذ واستصوب اللذان وردا على خلاف القاعدة القاضية بقلب واوهما ألفا نحو استقام واستعاذ . وهذا القسم يجب استعماله على ماسمع من العرب ولا تنقض به القاعدة ولا يقاس عليه غيره

(ثانيها) ما يجيء مخالفا للقاعدة في أكثر مخاطباتهم وورد على وفق القاعدة في أمثلة قليلة كايرادهم اسم الفاعل من أبقل على وزن فاعل فقالوا « مكان باقل » وقياسه « مبقل » وقد تكلموا في بعض الاوقات ، ومن هذا قولهم في أفعل التفضيل من الخير والشر « خير وشر » وقياسه « أخير وأشر » وقد نطقوا به في بعض الاحيان ، وهذا يجوز لك العمل فيه على الوجهين بيد ان الوجه الاكثر في السماع أرجح لانك تتكلم بلهجة قوم رجحوه ولانه مألوف عند المخاطبين أكثر من الوجه الذي قل في السماع

وما يرد في القراءة الصحيحة مخالفا للقاعدة والمسموع من كلام العرب فيما يظهر كقراءة « مماثش » بالهمزة نعطيه حكم هذا القسم فنستعمل مما يش مهموزة وغير مهموزة ولا نقيس على المهموزة غيرها مما كان على وزن مفعلة

(ثالثها) مالم يدر في كلامهم كثيرا وانما هي الكلمة أو الكلمات ترد في شعر أو نثر نادر مخالفة للقاعدة مثل ماحكي من قولهم « فرس مقوود ورجل مموود من مرضه » فهذا لا يؤخذ به في استعمال الكلمة نفسها فضلا عن ان يتخذ قياسا.

(رابعها) أمثلة كثيرة تجيء على خلاف ماوضعوه قاعدة ، وهذا يحتمل ثلاثة انظار (أحدها) طرح هذه القاعدة وعدم العمل عليها لانها ركبت على استقراء ناقص جدا (ثانيها) الاعتداد بها واجراؤها فيما لم يسمع فقط ثم الاقتصار فيما خالفها على ما ورد به السماع (ثالثها) التمسك بها والعمل عليها فيما سمع مخالفا لها ايضا بحيث يكون اللفظ ذا وجهين ، وهما الوجه المسموع والوجه الذي تقتضيه القاعدة

ومن مواقع هذه الافكار مصادر الفعل الثلاثي ، قال أحد النحاة : انما يعتمد فيها على السماع ولا يصح القياس على ضوابطها ولو عدم السماع لانها كثيرة الاتقاض . وذهب سيبويه الى القياس عليها فيما اذا ورد فعل ولم نسمع كيف تكلموا بمصدره ولا يصح ان نقيس مع وجود السماع . وأجاز الفراء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القياس عليها ولو فيما ورد السماع على خلافها

ومقتضى مذهب الفراء حيث اجاز القياس في قواعد كثيرة الانتقاض وهي مصادر الثلاثي ولو فيما ورد السمع بخلافها ان يجيز القياس فيما ورد به السمع مخالفاً للقواعد الثابتة كقاعدة التصغير واسم الفاعل باحرى ، فيصح على هذا اخذ اسم الفاعل من شاب في صيغة فاعل وان كان المسموع أشيب ، وتصغير ليلة على ليلية كما قال المتنبي « ليليتنا المنوطة بالتنادي »

وان كان الوارد في تصغيرها ليلية . ويستفاد من عبارة صاحب التاج ان هذه الطريقة أعني طريقة الفراء تجري في مصادر ما فوق الثلاثي أيضاً حيث قال منها قول صاحب القاموس « التبيان ويفتح مصدر شاذ » والفتح غير معروف الا على رأي من يجيز القياس مع السماع وهو مرجوح

القياس في الاشتقاق

لا يجب على الناظر في المشتقات من اسم فاعل ومفعول وأفعل تفضيل واسم مكان وزمان وآلة عند ما يريد انشاء قواعدها ان يستقرئ جميع آحادها فانه يتعذر عليه الوصول الى هذه الغاية نظراً الى سعة اللغة وانتشارها الى ما لا يمكن الاحاطة به ، وانما يتتبع من جزئياتها الى ان يأتي على مقدار يفيد ظناً قوياً وثقة بان اللغة جارية في مثله على اعتبار قاعدة ، والذي لا يبلغه استقراؤه يكون قاصداً لاجرائه في الكلام على ما يطابق هذه القاعدة ، فيصح لنا ان نعمل على شاكلتها في كل لفظ يتفق دون ان تتوقف على سماع

وهاهنا اشكال لا يزال يتردد على السنة طلاب العربية ، وهو ان واضع القاعدة اذا لم يلزمه استقراء جميع جزئياتها ويكفيه ان يتقص جملة منها فما باله يصرح في بعض الافعال والمصادر - مثل ويح وويل ونعم وبئس وعسى وليس وبذر - بانها لا تتصرف ولا يصح ان يشتق منها اسم فاعل او اسم مفعول او افعل تفضيل ؟ وأي فرق بينها وبين ما لم يبلغه استقراؤه من المصادر والافعال ليسوغ لنا ان ناخذ منها أوصافاً ولا يجوز لنا ان ناخذ مثل ذلك من ويل ونعم وما شاكلهما من المصادر والافعال التي يصفونها بالجمود ؟

وجواب هذا ان الافعال والمصادر التي لم يسمع لها فروع في الاشتقاق جاءت على ضربين (احدهما) ما يكثر استعماله في موارد كلام العرب من غير أن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يتصرفوا فيه مثل ويل ووبح ونعم وبئس وما يماثلها ، وعدم تصريفهم لها مع كثرة تردادها في محاوراتهم ومخاطباتهم دليل على قصدهم لابقائها على هيأتها فمن تصرف فيها فقد اتى بها على وجه قصد العرب الى تركه ، والناطق بما يقصون الى امثاله ناسج على غير منوالهم وناطق بغير لهجتهم

(ثانيها) ما لا يكثر في مخاطباتهم ولا يدور على السنتهم حتى يستفاد من ورودة بهيأة واحدة انهم قصدوا الى ترك تصريفه ؛ وهذا هو الذي نعمل به على طبق القاعدة وان لم يبلغنا او يبلغ الواضعين للقواعد ان العرب تلفظوا فيه بصورة موافقة لها ، فيصح لواضع القاعدة او مقلده متى اطلع على فعل او مصدر من هذا النوع ان يشتق منه وصفاً بمقتضى القاعدة وان لم يره مستعملا في العربية الفصحى . قال ابو عثمان المازني : ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، الا ترى انك لم تسمع انت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وانما سمعت بعضها فقست عليها غيره . وقال ابن جني بعد ان سرد امثلة من اسم المكان والمصدر الوارد ان على وزن اسم المفعول ـ : هذا كله من كلام العرب ولم يسمع منهم ولكنك سمعت ما هو مثله وقياسه .

فاذا اشتق العرب صيغة للدلالة على معنى واستعملوها في أمثلة كثيرة فانا نأخذ فيها بمذهب القياس ، ولهذا ترى سيبويه يصرح باطراد ما كان على وزن فعال من أسماء الافعال كنزال ودراك ، وخالفه المبرد فقال هو مسموع فلا يقال قوام وقعاد اذ ليس لاحد ان يبتدع صيغة لم تقلها العرب ، وقد عرفت ان الذي يفرغ الكلمة في قالب أفرزت فيه العرب أمثلة كثيرة على وجه منتظم لايقال عليه انه ابتدع صيغة لم يقلها العرب ، وليس للمبرد سوى ان ينازع في المقدار الذي سمع من صيغة فعال فيرد القياس بأن المقدار المسموع فيها لا يكفي في الدلالة على قصدهم لاطرادها

وجرى الشيخان في صيغة فعال الواردة في النسبة نحو بزاز وعطار على عكس هذه المسألة فذهب سيبويه الى انها غير مقيسة مع اعترافه بكثرة مواردها ، ورأى المبرد ان المقدار الوارد من أمثلة هذه الصيغة يكفي لجعلها قياسا فيقال عنده لصاحب الدقيق دقاق ولصاحب الفاكهة فكاه ولصاحب الشعير شعار : وقول صاحب القاموس ويقال لصاحب الخبر خبري لاخبار مطابق لمذهب سيبويه

(يتبع)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرحلة السورية الثانية

٦

ذكرنا في النبذة الخامسة التي نشرت في الجزء الخامس ان مسلمي بيروت قد تجدد لهم ثلاث حالات اجتماعية وتكلمنا على الاولى منهن وهي المتعلقة بالنساء فبقي ان نقول كلمة في كل من الحالتين الاخريين وفاء بالوعد

(اتفاق المسلمين والنصارى)

الحالة الثانية الميل الى الاتفاق مع النصارى وهذه ليست جديدة بالمعنى المتبادر من الكلمة وهو انها حدثت بالتطور الذي أحدثته الحرب الاخيرة وما تولد منها، بل كانت من تأثير تطور سابق عليها نبه العرب كغيرهم الى المحافظة على جنسيتهم وكان السوريون أسبق العرب الى التنبه والبحث في ذلك من حيث ان لهم وطنا خاصا له حدود ومصالح خاصة قل اشتراكهم فيها الاقطار العربية الاخرى وأهله مؤلفون من أصحاب ملل ومذاهب يرجع أكثرها الى فريقين محمديين ومسيحيين، بحيث يتوقف عمران البلاد وارتقاؤها على تعاون الفريقين وان كان أكثر مجموع أهالي — البلاد في غير لبنان — من الاولين كما أن أكثر رقبة الارض لهم

فالحق ان للشعور بالحاجة الى الاتفاق بين المسلمين والنصارى عدة محركات الحرب، وثلاثة قبلها وواحد بعدها، والاخير الذي سبق الى ذهننا عند كتابة النبذة الخامسة من الرحلة. أما المحرك الاول فهو الدستور الذي عاق الآمال بوطنية جديدة عثمانية تقضي على دسائس التفرق في المصالح الوطنية بين الملل والنحل، ولكن لم تلبث هذه الآمال ان خابت فكانت خيبتها بمحرك أقوى وهو اضطهاد الاتحاديين للعرب واجتهادهم في صرف قوى الدولة الى تقوية الجامعة التركية لغة وعنصرا وأكراه سائر الشعوب العثمانية على الاندغام فيها بمحو لغتهم وجميع مميزاتهم القومية والوطنية ولا سيما السوريين والعراقيين من العرب، وتلا هذا المحرك الثالث وهو حرب البلقان التي انكسرت فيها الدولة انكسارا حرك المطامع الاوربية المستعدة للوثوب على البلاد العربية لاستعمارها — وعلى اثر ذلك تألف حزب اللامركزية في مصر وحزبه الاصلاحية في بيروت من المسلمين والنصارى، وباتفاق الحزبين مع بعض شبان السوريين المستقلين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بتلقي العلم في أوربة تكون المؤتمر السوري، وجعلت رياسة ادارته لحزب اللامركزية لانه أقوى الاحزاب وأظهرها وأعمها

واما الحرب فقد كانت بويلاتها ومصائبها محركا انسانيا وطنيا للتعاطف والتراحم كما وصفنا في هذه الرحلة ووصف غيرنا من الكتاب في الجرائد السورية في جميع الاقطار

واما المحرك الاخير وهو الاحتلال فقد كان يجب ان يكون — بعد تلك المحركات الممهدة او المؤسسة — هو المتمم للبناء ولكنه كان هادما للاساس والقواعد وراجعا بهؤلاء السوريين المسافرين الى شر مما كانوا عليه قبل تلك التطورات أو المحركات الدافعات لكل فريق الى السعي للاتفاق مع الآخر وتكوين جامعة وطنية، وقد كان كل فريق مؤاخذاً في هذا اللوم الذي كان مظهراً لفقد التربية الوطنية والقومية وتغليب التعصب الديني على كل ما سواه حتى كانه — او لانه — قد صار غريزة او ملكة راسخة لا تزول الا بجهاد طويل يتقرض فيه جيل ويتجدد جيل

ذلك بان الاحتلال المختلط الذي تلا جلاء الترك عن سورية كان مذبذباً فقد سبق الامير فيصل بجنوده ورجاله الى احتلال البلاد باسم الحكومة العربية ورفع على معاهد الحكومة في مدنها علمه العربي الحجازي وكان الاهالي قد سبقوا الى تأليف حكومة وطنية مؤقتة وتلاه الاحتلال المختلط الثالث تحت قيادة الانكليز فالقسمة المثلثة فالقسمة الثنائية، ولما جاء رجال فيصل اولا خضعهم الجميع ورفعت الحكومة اللبنانية علمه على دار الحكومة في (بعبدا) وكانت المبشرات بالثورة العربية والحكومة العربية الجديدة التي ستنقذ البلاد من الترك (؟) قد تغلغلت في البلاد بسعي الدولة البريطانية فكان مجيء رجال فيصل واستيلاؤهم على مصالح الحكومة منتظراً وعده الاهالي أمرا متفقا عليه بين الحلفاء ومنهم ملك العرب — فتلقاه النصارى كالمسلمين بالرضاء والتسليم .

وههنا ظهر تقصير المسلمين وجهلهم بالسياسة وطبائع الاجتماع اذ شكلوا الحكومة السورية المؤقتة اولا والحكومة العربية ثانيا من انفسهم ولم يطلبوا كفاء النصارى في الجاه والعلم الى التشاور والاشتراك في تأليفها، وقد بحثت في هذه المسألة في بيروت وغيرها فاعترف لي بعض من ذاكرت فيها من المسلمين بالتقصير وانه لم يكن سوء نية اذ لم يكن عن تشاور بين المسلمين أنفسهم حتى يقال أنهم استأثروا بالاعمال وتعمدوا ان يكونوا وحدهم حكام البلاد، بل كانت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاعمال في ذلك فردية فكل من يلتحم في وظيفة يسعى اليها. وانما كان جل
سعي الى ذلك من افراد المسلمين لما سبق لهم من التصدي لخدمة الحكومة
التعلم في المدارس العثمانية الرسمية لاجل ذلك، وقلما كان النصارى يتصدون
لذلك ويستعدون له او يدخلون مدارس الدولة التي هي الوسيلة اليه. ولو كان
للمسلمين حزب سياسي منظم لما فاته ان يغتنم هذه الفرصة لاتمام ماتأسس في
من التطورات العربية من اسباب الاتفاق ودواعيه. نعم انه كان في البلاد
جمعية سياسية سرية لها علاقة وارتباط بالامير فيصل ولكن اكثر افرادها
من الشبان الذين لم ترتق بهم السياسة الى مثل هذا الفكر

٤ لم تكد تستقر الحكومة العربية العيصلية بالاحتلال العربي حتى تبعها
احتلال المختلط من الانكليز والفرنسيس الذي قسم سورية الشمالية الى
قسمين: غربية ساحلية احتلتها الجنود الفرنسية وجعلت لها السيطرة عليها
تحت رياسة القيادة الانكليزية المحتلة معها، وشرقية داخلية احتلها الجند
العربي باسم حكومة الحجاز وان كان الجند نفسه مختلطا والمنظم منه مؤلفا من
السوريين والعراقيين وقد جعل له السيطرة في هذه المنطقة تحت رياسة القيادة
البريطانية أيضاً — و كان هذا التقسيم مقدمة لتنفيذ اتفاق سنتي ١٩١٦
و١٩١٧ وقد اعتمدت السلطة الفرنسية في ادارة المنطقة الغربية على صنائعها من
النصارى ولا سيما الموارنة منهم فاكثرت من الموظفين من هؤلاء فكانت كثرتهم
حجة لمثل عددهم من المسلمين لان اكثر اعمال الحكومة كانت بأيديهم من
عهد الترك ورأى النصارى ان الدولة قد دالت لهم فرضوا بذلك وسروا به ولم
يكن للمسلمين يد عندهم في تلك الايام القليلة التي صار أمر الحكومة اليهم
فأعرضوا عن المسلمين بل صاروا يؤذونهم بالقول والفعل واعتزوا عليهم
واعتدوا كبيرا لم يفعل المسلمون شيئاً منه في دولتهم التي تعد بالايام لا بالشهور
بالسنين، ونسوا كل ماكان قبل ذلك من حرص المسلمين على الاتفاق معهم
في الحرب العامة حتى رضوا ان يكون لهم نصف الاعضاء في مصالح الحكومة
الفنية وغير المنتخبة وذلك فوق ما تقتضيه النسبة العددية العادلة التي تجري
عليها جميع الدول الراقية وما كان من علمائهم وعلمائنا في زمن
الحرب. وقد اشتهر ماوضعوه من الاناشيد في ذم المسلمين واهانتهم وانشدت في
الشوارع والاسواق في بيروت في يوم عيد الفصح. ولولا ان اعتصم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمون بالصبر والحلم لوقعت يومئذ مقتلة فاضحة تعد سبة لسورية ما بقي الدهر

على ان المسلمين لم يكونوا قد يئسوا من سعي فيصل الى استقلال جميع سورية وجعل حكومتها عربية بل كان رجاؤهم في ذلك عظيما وقد شهد لهم بعض كبراء الضباط الانكليز على المسيحيين ولا نحب ان نشرح ذلك ونطيل فيه لئلا يعد انتصارا منا لاهل ملتنا ونحن انما نكتب لاجل التأليف والاتفاق لا لتقوية الشقاق. وغرضنا ان نقول ان مسلمي بيروت شعروا في هذه الحالة بشدة حاجة البلاد في هذه المنطقة الى الاتفاق بينهم وبين النصارى على الوحدة الوطنية ولكن لم يجدوا منفذا للسعي . ويقابل ذلك في المنطقة الشرقية ـ حيث يقل المسيحيون ـ ان المسلمين كانوا والحكومة في ايديهم يجتهدون في استمالة النصارى واشراكهم في كل عمل ويودون اعطاءهم فوق ما يريدون بحسب النسبة العددية وقد جرت الاحزاب السياسية على ازالة الصبغة الاسلامية من الحكومة ارضاءا لهم وظهر اثر ذلك في المؤتمر السوري والقانون الذي وضعه للحكومة السورية العامة المتحدة فانا أذكر هذا وذاك لا لتسجيل الذنب الاكبر على النصارى وتصغير ذنب المسلمين أو تبرئتهم بل لائبت به اخلاصهم في الميل الى الاتفاق

وقد كتبت وأنا في بيروت عدة مقالات في جريدة الحقيقة بامضاء (السيد) دعوت فيها الى الاتفاق بالحجج الناهضة والاساليب الجاذبة ، واجتناب كل ما ينفر من الغاية المقصودة فظهر لها تأثير في زيادة ميل المسلمين الى الاتفاق ولم يظهر لها في النصارى الا أثر ضعيف في بعض شبان المدرسة الامريكانية الجامعة وقيل لي ان آخرين من الاحرار المستقلين قد سروا بها ولكن لم يستجب الدعوة منهم احد ، ولو لا ان كانت تلك المقالات فائضة من روح الاخلاص والانصاف والتلطف في الدعوة لوجد فيها المتعصبون من القوم والذين يخدمون سياسة التفرقة مأخذ للرد عليها ولكنهم لم يجدوا الى ذلك سبيلا ، وقد نقل الينا ان الاستعداد للاتفاق يقوى بعمل الزمان عاما بعد عام . حقق الله الآمال

التربية الملية مع التعليم العصري

لقد نام المسلمون نومة اجتماعية أطول من نوم اهل الكهف وأثقل ، الموقظات التي تصخ الاسماع تتوالى من حولهم كالصواعق وقد ضرب على آذانهم فهم لا يسمعون ، ولما بعثوا وجدوا ما يعرفون من سير البشر قد تبدل فصار على غير ما يمهدون ، رأوا الغربيين قد سادوا العالم وتولوا ادارة شؤونه في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بلادهم وبلاد غيرهم من حيث يشعر أولئك الاغيار ومن حيث لا يشعرون ، صاروا في امرهم لا يدرون ما يصنعون

ماذا يعملون؟ ولماذا لا يدرون؟ وكيف يعذر بهذا الجهل المسلمون؟ القرآن صبح بهم من فوقهم، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وشواهد هذه القاعدة الاجتماعية القطعية بين أيديهم وعن ايمانهم وشمائلهم

صفات الانفس التي يتوقف تغيير أحوال الامم بتغيرها هي ما يبعث على الاعمال ، من علوم وأخلاق ، وهما يكتسبان بالتعليم والتربية كما ورد في حديث « العلم بالتعلم والحلم بالتحلم » فأما العلوم النظرية والفنون العملية ، أي صناعات آلية ، ترتقي بارتقاء العمران، وليس لها دين ولا وطن ، بل يتبع فيها سير العمران واختلاف الزمن ، وأما الاخلاق والملكات النفسية ، التي تتجدد بها حياة الامم الاجتماعية ، فهي تختلف باختلاف الامم في المقومات والمشخصات الملية والقومية ، وتراعى فيها الغرائز القومية والوراثة الجنسية، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة » هم كذلك في أفرادهم ، وفي جماعاتهم وأقوامهم ، فالقوم يعرض لهم القوة والضعف ، والعز والذل ، كما يعرض للمعدن الصقل والصدأ ، والتربية والتعليم للافراد والاقوام كالصقال للمعدن الذي يظهر رونقه الفطري ويزينه ويعظم الانتفاع به، ولا يقصد به تبديل جنسه ونوعه بتحويله الى نوع آخر ـ فلماذا لم يجار المسلمون الغربيين في أساليب التربية الملية والتعليم المدني ومدارسهم بين أيديهم في ديارهم ولا سيما بيروت منها ؟ فأعظم المدارس التي أسسها الافرنج فيها المدرسة الانجيلية الامريكانية والكلية اليسوعية ، فلماذا لم يقتدوا بهم بتأسيس مدرسة قرآنية أو مدرسة محمدية ؟ على ان سائر المدارس التي أسسها الافرنج وتلاميذهم من النصارى الوطنيين دينية التربية ومنسوبة الى البطاركة والقديسين من رجال دينهم ، وباليت التربية الدينية فيها كانت صحيحة خالصة من شوائب الاهواء السياسية . كلا ! ان كل شعب من شعوب الافرنج قد بث في مدارسه التي أنشأها في الشرق دعوة سياسية تفح فيها من روح الدين والمذهب فكان ذلك أكبر أسباب الشقاق الديني في سورية وقد كان هذا خفيا عن الدولة العثمانية الجاهلة المتساهلة وعن أكثر الناس ولكن صار معروفا للعوام كالخواص . اذ ظهر تأثيره بما تجدد من التفرق والشقاق ، بعد تلك المسائل التي مهدت للاتفاق . وهي ما أشرنا اليه في الفصل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاول من هذه النبذة

على مسلمو بيروت من ضرر مدارس الافرنج في هذه الايام فوق ما كانوا يظنون وناهيك بها وقد علموا زوال الحكم العثماني مع المبالغة على التشدد في اجبار من يتعلم فيها من أولاد المسلمين على [illegible] دروس الديانة النصرانية وحضور وعظها وصلاتها ـ فاقترحت ذلك بالقاء خطاب دعوت فيها الى تأسيس مدرسة كلية إسلامية ، ثم رغبت الى عمر بك البيطار الذي كان رئيس البلدية ان يدعو كبار المحامين الذين يرجى منهم [illegible] الى دعوتهم الى الاكتتاب لهذا العمل قلبي بالارتياح ، ولما انتظم عقدهم ألقيت فيهم خطابا بما يقتضيه المقام من الكلم الذي يرجى ان يقع موقع الاقناع من العقول ، والتأثير من القلوب ، وفتح عقب الفراغ منه باب الاكتتاب فدخله الاكثرون وأرجأ الاقلون ، ولكن كل ما كتبوه من المبالغ غير لائق بهذا المشروع العظيم ولا بياعث على الرجاء في النجاح فآلمني ذلك وحفزني الى القاء خطاب آخر كان شديدا بقدر شدة تألمي وتهيج شعوري حتى قال لي صديقي احمد مختار بيهم بعد أيام انه لا يوجد أحد يقبل منه هذه اللهجة الشديدة سواك ولكن كان من تأثير الاخلاص فيه ان ضاعف كثير من المكتتبين ما كانوا كتبوه من التبرع

ثم ألفنا لجنة من كبار الوجهاء أهل الغيرة كانت تطوف على من لم يحضر ذلك الاجتماع في مكاتبهم ومخازن تجارتهم لاتمام الاكتتاب ، وافرادها عمر بك الداعوق وابو علي سليم علي سلام افندي واحمد مختار بك بيهم ومحمد افندي الفاخوري ورشيد افندي اللاذقي ورشيد رضا كاتب هذا . وقد بلغ الاكتتاب بالمبالغ التهيدية بضعة الآف من الجنيهات مع اكتتاب سنوي آخر وقد سافرت الى الشام قبل اتمام الاكتتاب فوقف سيره ولكن العمل لم يقف فقد باعوا ارضا واسعة بجوار الحرش باسم هذه المدرسة ستبنى فيها ان شاء الله تعالى

هذا ما انتهى اليه السعي والاستعداد لهذا المشروع وهو ليس مما تبيض به الوجوه ، الا اذا نظر اليه من حيث انه بدء حياة اجتماعية جديدة يرجى ان تنمي وتزداد بالعمل وقد كنا معشر الساعين اليه غير منزوعين عن جهلنا وعجزنا استعدادنا ولذلك اتفقنا على انه لا يرجى نجاحه وثباته الا اذا عهد به الى جمعية لمقاصد الخيرية الاسلامية التي سنكون ان شاء الله تعالى من أغنى الجمعيات الوطنية فقررنا نواة العمل بالجمعية ، وسعينا الى تجديد نظامها وتنظيم جلساتها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التي كانت معطلة فتم ذلك في أقرب وقت بمساعدة رئيسها صاحب الفضيلة مفتي بيروت أدام الله النفع به

ولما شعر المسيحيون بهذا السعي استكبره على المسلمين المستكبرون، وكرهه لهم ومنهم الكارهون، وكتبوا في جرائدهم اننا نريد لوطننا السوري مدارس وطنية، لا مدارس دينية، فالدين هو الذي فرق كلمتنا، واغرى المداوة والبغضاء بيننا، فرددت عليهم في جريدة الحقيقة بأن المدارس الدينية التي فرقت وفعلت ما فعلت هي مدارس مسيحية لا اسلامية ولا وطنية فاذا رضيتم بتركها واستبدال مدارس وطنية بها فاننا نضع أيدينا في أيديكم وأموالنا مع أموالكم وأولادنا مع أولادكم، ولكننا نقول ان الدين لم يكن هو المفرق والمغري بالمداوة بأصوله وتعاليمه بل بسوء استعمال السياسة الاجنبية له وانتا بالتربية الوطنية يمكننا أن نجعله من أكبر أسباب الاتفاق والتعاون، وفي نصوص القرآن والانجيل، ما يهدي الى سلوك هذه السبيل، وهي التي سلكها فقيد الوطن البستاني الذي اتفق المسلمون مع المسيحيين على احترامه والاحتفال في هذا العام بذكرى مرور مئة سنة من تاريخه

فهلموا ننشئ مدرسة وطنية جامعة ونجعل في جانب منها مسجدا وفي جانب آخر كنيسة، فان التربية لا تكمل بغير فضيلة والفضيلة لا تكمل بغير دين، وفي كل من الدينين الاسلامي والمسيحي فضائل كافية، وهي في الاكثر متفقة أو متقاربة. فليرب كل فريق منا أولاده على عبادات دينه وفضائله، ومحبة وطنه والتعاون على ترقيته، على قاعدة المنار الذهبية (نتعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه) فنحن مشتركون في أرض هذا الوطن وفي جميع مصالحه الاقتصادية والسياسية ومشتركون في الامة فنتعاون على ترقية ذلك بجميع فروعه ولسنا مختلفين الا في الدين ومذاهبه فيحترم كل منا الآخر فيه وليعلم الافراد المارقون من الدين من الفريقين انه ليس في استطاعتهم هدم الدين وهذه البلاد وما يجاورها هي مهده ومنبت الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام - أولئك العظام الذين يقدس ذكرهم مئات الملايين في الشرق والغرب ولا يعدون احداً من الفلاسفة ولا من الملوك والفاتحين مساويا ولا مدانيا لاحد منهم بل ولا أصحابهم وتلاميذهم الاولين، ولا أوليائهم المخلصين. بهذا قامت الحجة لنا عليهم والمخلص في الدعوة الى المصلحة العامة لا تدحض له حجة لان الله تعالى هو المؤيد له (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورية عربية (١)

أولا وآخرا

للعالم الكاتب السياسي الكبير الامير شكيب ارسلان

« في البيان »

قبل ان انجلى الاتراك عن سورية كان جميع اهلها عربا ولم نكن نسمع فيها بسرياني وعبراني الا من قبيل العاديات (الآثار العتيقة) . وكثيرا ممن برزوا لنا الآن بالحلة السرنانية كانوا من صميم القحطانيين يومئذ ، وذلك لان مقصد مثل هؤلاء كان اخراج الترك حتى يحل محلهم احدى الدول الاجنبية . فلما خرج الترك وجاءت محلهم دولة عربية تريد تحرير البلاد باسم العرب وتنفي كل من يريد ان ينفي البلاد من غير العرب جدت عند بعض هذه الفئة القليلة من اهل سورية نغمة لم تكن معهودة من قبل وهي اننا نحن سريانيون غير عرب وان لغتنا هي السريانية وانما غلب علينا اللسان العربي منذ قرون ولكن بقيت لنا فيه لهجة خاصة تشعر بكوننا سريانا . . . ويا ليتهم قصروا دعواهم على هذا القول فكنا نوافقهم على كون هذه الفئة القليلة هي سريان ولكن طمحوا الى دعوى أعرض من ذلك وهي ان سورية كلها سريانية وانما بدخول العرب الفاتحين تعلم اهلها اللسان العربي وهذا غاية ما في الامر

تكررت اقاويلهم هذه سواء في جرائد عربية اللغة او اجنبية اللغة والعرب قلما يحفلون بها لخروجها من التاريخ وامعانها في التحكم وكونها غلطا او مغالطة فاوهم ذلك بعض اخواننا من ابناء البلاد انهم على حق فيما يدعون فيه

ومن هذا القبيل رسالة طالعناها آخرا تحت عنوان « الحقيقة ضالتنا المنشودة » حاول فيها الكاتب ان يثبت كون سورية سريانية لا عربية وانه لا ينبغي ان يثقل هذا القول على العرب اذ ليس فيه مساس بكرامتهم وكما لا يغض العرب ان نقول : ان الرنسيس ليسوا عربا . الانكليز ليسوا عربا . الايطاليون ليسوا عربا . فكذلك قولنا ان السوريين ليسوا عربا وانما هم سريان . توفرت على ذلك الادلة التاريخية والاركيولوجية والاثنولوجية الخ والاعتراف بالحق أولى . الى غير هذا من الاقاويل التي كنا نحب ان نطوي عنها كشحا كما طوى

(١) نقلا من عددي جريدة الافكار البرازيلية المؤرخين ٦ و ٩ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو عن مناظر حدث عنها . الا انه لما كان جاء من باب التاريخ والحقائق العلمية وكان من الفضلاء المستقرين للخبر والاثر، المغرمين بالسير والنظر ـ كما يظهر من كتاباته ـ أحببنا أن نخوض معه عباب هذا البحث متوخين فيه الوجهة العلمية المحققة معتمدين على التاريخ — لكن التاريخ المحقق الممحص لا المخيل ولا المظنون — لان الحقائق لاتكون بالظنون بل بالادلة وبعد ذلك نترك لقارئ المنصف ناشد الفضائل التي أشار اليها الكاتب في رأس رسالته الحكم على نسب الاكثرية من أهل سورية أهو عربي أم سرياني .

نقول : أولا ـ ان العرب والسريان (والعبرانيين) هم جميعا من الشعوب السامية لانه قد اتفق المؤرخون الاثبات على كون الساميين قسمين (أحدهما) الساميون الشرقيون وهم البابليون والاشوريون ، وبعد ذلك . فالساميون الكنعانيون وهم الذين كانوا في فلسطين قبل اليهود والكنعانيون سكان سواحل سورية أي الفينيقيون واليهود والاراميون والسريانيون وآراميو فلسطين الذين نطق بلغتهم السيد المسيح عليه السلام والتدمريون والنبط

ثانيا ـ الساميون الجنوبيون وهم العرب وهؤلاء قسمان الشماليون وهم عدنان ، والجنوبيون وهم قحطان والعرب البائدة وعرب المهر واهل جزيرة سوقطرة وينضاف اليهم الساميون والافريقيون وهم الحبشة وهؤلاء ثلاثة اقسام وهم البنفري والتارينة والامارينة ، وكذلك من الساميين أقباط مصر وهم والصوماليون والجبرت من جنس واحد

فالسريانيون اذاً هم والعرب من فروع شجرة واحدة متدانية الاغصان يدل على ذلك تقارب مابين لغتي الفريقين حتى لقد يفهم العربي بعض السرياني بدون تعلم بل بمجرد السماع لشدة ما بين اللغتين من الشبه ولقد اعترف بذلك الكاتب صاحب تلك المقالة ولكنه تجنب في الموضوع ذكر سبب هذه المشابهة وهو اتخاذ الاصل ووشيجة الرحم بين العرب والسريان . فنسبة السريان الى العرب ليست أبدا من قبيل نسبة الفرنسيس ولا الانكليز ولا غيرهم من الشعوب الاوربية الى العرب ، بل هي نسبة ابناء عموم السلالة بحيث ان الفرق بينهم هو كالفرق بين الفرنسوي والايطالي أو الاسبانيولي من تجمعهم اللاتينية أو هو أقل من ذلك

ثالثا ـ ان اكثر المستشرقين الاوروبيين لايرون في اكثر الامم السامية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الا بطونا من العرب . وان السريانيين هم في الحقيقة الاراميون وان الاراميين كان فيهم عرب كثير لانه ليس المقصود بالاراميين شعبا ذا عرق واحد بل معنى كلمة الاراميين سكان البلاد العالية كما ان معنى كلمة الكنعانيين سكان السهول. كما انه في أواسط آسيا يوجد الايرانيون والطورانيون وقد يتوهمونهم شعبين منفصلين نسبا والحال ان معنى الايرانيين سكان الحواضر ومعنى الطورانيين سكان البوادي . ولقد ثبت كون العرب سكنوا سورية من على عنق الدهر راحلين اليها من الجنوب فدخل منهم من سكان السهول في الكنعانيين واندمج من سكان الجبال في الاراميين وهؤلاء الاراميون لم يتسموا سريانا الا فيما بعد سماهم بذلك اليونان وادعاه الكاتب ان السريانيين السوريين هم السريان اهل بابل وأشور - ولهذا هو يفتخر بمدنيتهم - هذا فيه مافيه فان المؤرخين لا يخلطون بين السريان والاشوريين كما خلط حضرته جهلا أو تجاهلا لغرض في النفس

رابعا - ذهب الاستاذ « سبرنغر » الالماني في كتابه « حياة وتعاليم محمد » صلعم وكتابه الآخر الشهير « جغرافية بلاد العرب القديمة » الى ان جزيرة العرب هي مهد جميع الساميين . وممن ذهب الى ذلك من فحول العلماء الاستاذ سايس الانكليزي في كتابه « أجرومية اللغة الاشورية » ومثله الاستاذ شرودر الالماني أعلن هذا الرأي في مجلة الشرق الالمانية . ومثله الاستاذ رايت في كتابه « اجرومية الالسن السامية » وهو المدرس بكلية كمبردج . ثم العلامة ماكس مولر قال هذا القول نفسه وغير هؤلاء من العلماء المحققين ذهبوا الى ان جزيرة العرب هي مهد الامم السامية باسرها فيكون السوريون بحكم الضرورة عربا في الاصل كما لا يخفى . وذهب آخرون الى ان اصل الاقوام السامية هو من افريقية هاجروا الى جزيرة العرب وفيها نشأوا ونموا وتقرمت مميزاتهم ومنها خرجوا الى سائر الاقطار . ومن اصحاب هذا القول روبرت سميث الانكليزي وبارتون الامريكاني وغيرهما وعلى كلا المذهبين يكون مرجع السوريين الى العربية

خامسا - في عهد العائلة المصرية السادسة أنفذ قائد فرسان من مصر لارتياد اراضي سورية فلم يجد هناك سوى الكنعانيين ولم يقف يومئذ على أثر للفلسطينيين ولا للعبرانيين هذا في كتاب العلامة الهولندي تيل وان كثير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من المؤرخين البحاثين لا يرون في الكنعانيين الا بطنا من العرب . ثم ان المصريين الاقدمين عاروا جيلا اسمهم الشاسو في جهات سيناء وجنوبي سورية وهذا الجيل كان عربيا

سادسا ـ الفينيقيون هم في سورية قبل السريان وقبل الاراميين وقد ذكر هيرودتس ان قسما من الفينيقيين جاءوا الى جهة خليج فارس كما ان العلامة الانكليزي بينت اجرى حفريات كثيرة في جزيرة البحرين استنتج منها كون الفينيقيين منها وان بعد آخر من الفينيقيين جاءوا من سواحل البحر الاحمر ، وعلى كلا الحالين فهم عرب من نفس جزيرة العرب . وبعد ان ثبت كون الفينيقيين عربا لا يبقى محل للنزاع في عروبية القسم الاعظم من أهل سورية ولا في الدرجة العليا التي يحلها العرب في تاريخ المدنية قبل الاسلام فضلا عما بعده

سابعا ـ الانباط هم عرب يمانيون وقد كانت لهم في سورية دولة وعمرانة ومدنية ضخمة تدل عليها آثارهم وانقاضهم وكانت لهم حرش وسيخد وطور ووادي موسى (بترا) وان لم يكن من منهم سوى وادي موسى (بترا) منحوتة من الجبال بيوتا فارهين (الكلمة فكيف وهناك جرش وما فيها وهذه التي كانت عروس الشرق ، ومن الانباط المؤرخون الذين يقال لهم الشقيقيون جنوبي نهر الاردن

ثامنا ـ عند مجيء ابراهيم الخليل الى سورية كان في هذه البلاد يتحيزان أحدهما الحثيين في الشمال والثاني العرب الكنعانيون والموريون الكنعانيون في الجنوب وقد وجد ابراهيم ملكيصادق الملك الموحد الذي كان يعلم ابراهيم يعبد الله العلي الاعلى وأدى اليه ابراهيم العشر وان العلامة جيرنيوس في كتاب المشرقيات الاثرية في القرن التاسع عشر يذهب الى ان ملكيصادق كان عربيا . فينظر الانسان في أي دور كان العرب ملوكا ودولا في سورية

تاسعا ـ ما اتفق المؤرخون على كونه أساس المدنيات القديمة هو الزراعة والتجارة وكل الآثار تبين ان أكثر مراسم الديانة في سورية آتية من جنوبي جزيرة العرب . وأهم مراسم اليهودية مأخوذة من ديانة مدين وهي يمانية بحتة والفينيقيون سكان سيناء كانوا عربا من اليمن ايضا

هذا ومن اطلع على كتب ولماوزن الالماني وروبرت سميث الانكليزي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المؤرخين البحاثين في الامور الدينية ، ان أكثر هذه المسماة بالطقوس آتية من جزيرة العرب كما ان المؤرخ الاميركاني هارون بورتون ذهب الى ان كل الاديان السامية هي من العرب . أما التجارة فمن المقرر ان أكثرها كان مع اليمن وانها كانت سبب سعادة سورية حتى ان ثروة سليمان بن داود الشهيرة كان معظمها من الاتجار مع اليمن ولا يخفى انه باستمرار القوافل بين اليمن وسورية كثر طراء العرب على الديار السورية وأوطنوها وتمكنوا وتشعبوا فيها

عاشرا ـ وجد الضجاعمة من عرب اليمن في حوران وجنوبي سورية قبل الاسلام باحقاب متطاولة . وفي زمن النبي ايليا أي قبل المسيح بنحو ستمائة سنة جاء القائد نعمان العربي من الشام يستشفي من البرص عند اليشع تلميذ ايليا . ثم كان بنو سليح وكانوا يحكمون حتى أبواب مدينة دمشق أما الغساسنة وهم من الازد من عرب اليمن أيضا فقد كانوا في فلسطين والشام وتدمر وكانت لهم القوة والصولة وبقيت عنهم الآثار الباهرة واستمر ملكهم نحو ستمائة سنة ـ فيما أتذكر ـ الى ان ظهر الاسلام . فأنت ترى تعاقب الدول العربية على سورية من ايام الكنعانيين وملكيصادق الى الانباط والمالقة والفينيقيين الى الضجاعمة الى الغساسنة وكل من هذه الامم انبسطت وامتدت وتركت ملايين من الذراري في ارض سورية

حادي عشر ـ كان الغالب على سورية العنصر الوارد اليها من الجزيرة العربية قبل الاسلام فكيف من بعده . وقد جاء العرب المسلمون وفتحوا البلاد واندفق سيل المهاجرة من كل حدب واستمر ثلاثة عشر قرنا الى اليوم . ومما قرره علماء التاريخ ان الحواضر السورية تكسب كثيرا من البوادي حتى ان بعضها قد ينقرض لولا طراء البادية . وليس ورود العرب على سورية وايطانهم سورية هما من قبيل الحدس والتخمين وان ذلك عقلا لابد ان يكون هكذا بل مئات الوف من أهل سورية الآن يحفظون أنسابهم ويعرفون انفسهم انهم عرب ومنهم من عنده كتابات خطية تثبت دعواه ومنهم من يعتمد على التواتر ومنهم من انقطعت به أسباب العلم عن معرفة أصله ولكنك تعرفه عربيا من سحنته

ثاني عشر ـ اما كون أهل سورية أسلموا لدن الفتح العربي فنريد عليه دليلا واحدا نريد تاريخا أو نصا مبينا او قرينة قاضية لا يكفي في ذلك مجرد الظن لان الظن لا يغني من الحق شيئا . نعم اننا لا نستبعد ان يكون كثير من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الافراد عند الفتح وبعد الفتح على توالي القرون دخلوا في الاسلام ولكن لايؤدي دخول هؤلاء الى كون السواد الاعظم من أهل سورية كانوا يوم الفتح الاسلامي نصارى أو يهوداً وأسلموا . كما ان وجود العرب نحو مائة سنة في جنوب فرنسا وتنصر من بقي منهم هناك بعد جلاء الحكومة العربية عن تلك البقاع ، لايفيد كون معظم أهل جنوبي فرنسا أصلهم من المسلمين بل يقال ان كثيرا من العائلات في هاتيك الديار ترجع الى العرب . كذلك تنصر عشرات الوف من عرب الاندلس وربما مئات الوف عند ماحملهم فرديناند وايزابلا ثم ديوان التفتيش الشهير بعدهما ثم فيليب الثاني على اعتناق النصرانية بالسيف والنار وربما خيروهم بين التنصر والجلاء فالذي عز عليه دينه جلا والذي عز عليه ملكه ووطنه تنصر ورغم هذا فلا يستطيع مؤرخ ان يقول ان اكثر سكان اسبانيا اصلهم عرب . فهذه الرواية التي معناها ان أكثر أهل سورية اسلموا عند الفتح العربي لاصحة لها . والصحيح ان الامة الفاتحة غلبت ونمت كما هو شأن جميع الامم الغالبة وان الامم المغلوبة ضعفت وتناقصت كما هو شأن جميع الامم المغلوبة على امرها ودخل في سورية أقوام كثيرة من المسلمين غير العرب فاستعربوا وصاروا عربا منهم الاتراك ومنهم من المغول ومنهم من الاكراد ومنهم من الشركس ومنهم مغاربة دخلوا في أيام الفاطميين وغير ذلك فاق عدد المسلمين في سورية كثيراً على عدد سائر الملل بهذه الاسباب العديدة

ثالث عشر — ينبغي لمثل هؤلاء الذين يرمون الكلام على عواهنه ويقولون ان السوريين هم سريان ان يراجعوا التواريخ العربية ما كان منها على مناهل الاعراب ودخولهم في الحواضر كالقلقشندي والمقريزي وعلى تواريخ الحروب الصليبية التي حررها مؤلفو العرب وعلى كتب التراجم وأنساب بعض العائلات والعشائر وعلى أخبار القيسية واليمنية وعلى الجغرافيات العربية القديمة بحيث يتكون عندهم التصور اللازم لمعرفة الحقيقة . بل لايكفي هذا وحده حتى يقترن بالتنقيب بين سكان البلاد وسؤال قبيلة قبيلة وقرية قرية عما يعلمون من اصولهم وبعد ذلك يظهر انه ليس الجهل الذي فشا والعلم الذي طمس هما اللذان جعلا أهل سورية يقولون « نحن عرب » بل الجهل بتاريخ العرب وبأنسابهم والاقتصار على رواية واحدة هما اللذان أديا الى القول الجديد « ان السوريين سريان » : ان العرب هي الامة الوحيدة التي يستوي عاميها وخاصيها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في معرفة نسبه ولم يبلغ انحطاط العلم في سورية ولا مرة ان جهل العرب فيها أصولهم وما على المرتاب الا ان يجول بنفسه في البلاد ويستقصي من أهلها عن أصلهم ليلمس الحقيقة لمساً

رابع عشر ـ ان كثيرا من نصارى سورية هم من أصل عربي غساسنة وغيرهم. منهم من بقي بحوران ومنهم من جلا الى دمشق وحاصبيا وبعلبك وزحلة وجبل لبنان . ولا يلزمني الآن أن أتعرض لاسماء هذه البلدان التي تعرف أنفسها. ولعلنا نذكر ذلك مرة أخرى . وان طائفة الدروز هم من قبائل لخم وجذام وبطون أخرى جاءت آباؤهم أيام الفتح الى معرة النعمان ثم أسكنهم الخلفاء العباسيون جنوبي لبنان وان أكثر طائفة الشيعة هم من عاملة من عرب اليمن جاءوا الى الشام ونزلوا بجبل سمي بهم وهو جبل عاملة أو بلاد بشارة ولست ادعي انني على شيء من الاحاطة بأنساب عرب سورية فان ذلك بحر زاخر لا ساحل له لكن المعروف منه عندنا هو مما تضيق عنه هذه المجالة. وبالاختصار فالسواد الاعظم من مسلمي سورية وطوائف سورية المتشعبة من الاسلام هم عرب ثم مستعربون من أمم غير سامية . وان قسما عظيماً من نصارى سورية هم عرب صراح لا جدال فيهم وان بيز الطائفة المارونية ذاتها التي تنتسب الى السريانية بطوناً كثيرة عربية جلت الى لبنان من حوران باعتراف المؤرخين اللبنانيين من أهل التحقيق ،وسواء اراد بعض السريان أن يفصلوا أنفسهم من العرب بعد أن استعربوا منذ دهور أو لم يريدوا فان الاكثرية الطاحنة في سورية هي للعرب الحقيقيين . انتهى

شكيب ارسلان

حاشية للمصحح: هل كان التغلبيون الذين حاربوا مع عبد الملك ضد خلافة عبد الله بن الزبير مسلمين ؟ هل كانت جيوش العرب المنتصرة التي حاربت مع العرب في العراق ضد العجم مسلمة ؟ هل ينكر ان بني الخازن وبني حبيش وآل شهاب وآل ابي اللمع من نصارى لبنان — وهم من علية طوائف لبنان — غير نصارى ، ولا عبرة بان هذه الطوائف ارتدت ولكن : هل هي عربية أم أعجمية ؟ و كتبه صالح مخلص رضا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة فقيد العلم والاصلاح

أحمد فوزي عمران

بقلم شقيقه محمد بسيوني عمران في (جاوه)

حضرة العلامة الفضائلي ، ذي الفضل والكمال ، سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الازهر متعنا الله والمسلمين بوجوده الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني أكتب اليكم اليوم ويدي مضطربة وقلبي مملوء حزنا وأسى والهموم مسدلة على القلوب لما رزئنا بل رزئت به سبيس كلها من فقد شقيقنا العزيز أحمد فوزي عمران ليلة الخميس الواقعة في ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٣٩ الموافقة ٥ مايو سنة ١٩٢١

ألا ان مصيبتنا في فقيدنا المرحوم كبيرة كما كان رجاؤنا فيه لاصلاح الامة كبيراً . لما رزقه الله تعالى من الاخلاق القويمة والصفات الكريمة ، فكان رحمه الله مخلصا قوي الايمان ، قائما بالواجبات ، منزها عن الفواحش والمنكرات صادقا في الجد والهزل ، عالي الهمة ، قوي الارادة ، ساعيا في مصلحة الامة ، محبا للعمل ، متواضعا ناصحا أمينا ، صابرا حليما ، عزيز النفس ، مكرما محبوبا من أقاربه وأصحابه وقومه وجميع من عاشره من مختلفي الاجناس

ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحقق رجائي ورجاء الامة فيه فلله ما أعطى ولله ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، ألا الى الله تصير الامور

ولد رحمه الله تعالى يوم السبت غرة شعبان المعظم سنة ١٣٠٦ ولما بلغ ست سنوات من عمره عليه والدنا الشيخ محمد عمران مهراج امام قاضي سابقا قراءة القرآن الشريف ثم أدخله في مدرسة الحكومة الهولاندية ليتعلم فيها الكتابة اللاتينية وميادئ الحساب وأنا يومئذ في مكة المكرمة أطلب العلم فيها فلقاني رحمه الله في المدرسة أقرانه وتقدم عليهم ، ولما أتم دروسه فيها لم يلبث أن طلبته الحكومة معلما في هذه المدرسة . وفي سنة ١٣٢٨ قويت رغبته في تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية وكنت أنا منذ سنتين ونصف حين من سفري من مكة المكرمة فقلت له : ان أردت أن تتعلم اللغة العربية وعلومها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعلوم الدينية والدنيوية (المصرية) فاذهب الى مصر وأنا أذهب معك فاتفق رأينا وطلبنا من الوالد رحمه الله الاذن بالسفر الى مصر رأسا لاجل طلب العلم فيها فلم يستطع مخالفتنا في ذلك ، وأخبر الوالد رحمه الله مولانا السلطان محمد صفي الدين بمرادنا فسره ذلك الخبر وقال له : انا نرجو ان يكون ولداك نبراسا لبلادنا .

وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ سافرت أنا والفقيد رحمه الله وأحمد سعود وسعد علي من أهل بلدنا الى مصر القاهرة ذاكرين اسم الله وناوين طلب العلم فيها وفي يوم ١٣ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٨ وصلنا الى مصر القاهرة ونزلنا في بيت مصلح الامة العالم العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فاننا لم نكن نعرف غيره من الناس في مصر ولا محل لرجائنا في تحقيق أملنا وأملنا لتحصيل ما سافرنا وهاجرنا اليه غير هذا المصلح العظيم ، وما كنت أعرفه ولا أرجو فيه مارجوناه الا بعد قراءتي المنار فاني اشتركت فيه منذ سنتين قبل سفرنا الى مصر ، وقد قابلنا في محطة مصر شقيقه الفاضل السيد صالح رضا وكان السيد صاحب المنار ينتظرنا في منزله الشريف ولما دخلنا وسلمنا عليه قابلنا بحفاوة واكرام على عظم قدره وعلو مقامه ، وأكرم مثوانا وضيافتنا ولم ننتقل من بيته الا بعد أيام — جزاه الله عنا خير الجزاء — وكان أول ماسألني عن أحوال مسلمي جاوه وملايو فأخبرته بما علمت وظهر لي انه متأسف من انحطاطنا في الامور الدينية والدنيوية وانه مهتم بأمورنا الدينية بل والدنيوية . ولم يكن أحد منا يعرف اللغة العربية سوى كاتب هذه الاسطر

وكنا نود لو نقرأ على السيد ونتعلم منه العلوم العربية والدينية وغيرها من العلوم المصرية ولكن لم يجد وقتا لذلك لكثرة أشغاله واشتغاله بما هو أكبر من أقرائنا وتعليمنا من الاصلاح الديني والدنيوي العام ومع ذلك لم تفتنا ارشاداته وافاداته وذلك قبل تأسيس مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وأما بعد تأسيسها وفتحها فقد كنت أنا والفقيد رحمه الله نحضر دروس التفسير والتوحيد التي ألقاها السيد في المدرسة ولم نحرم ولله الحمد ما كنا نوده ونتمناه وكنت أنا والفقيد رحمه الله نتعلم في الازهر الشريف ويأخذ كل منا معلما خصوصيا بأجرة وبغير أجرة .

وكان رحمه الله يقرأ النحو والصرف والفقه ويشتغل بحفظ اللغة العربية ، ولم يمكث سنة واحدة بمصر الا وهو يعرف النحو والصرف ويتكلم باللغة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العربية ثم أسست مدرسة دار الدعوة والارشاد بالروضة بجهة مصر القديمة وكان ناظرها ومديرها العلامة صاحب المنار ودخلت أنا والفقيد رحمه الله تعالى في هذه المدرسة المباركة بعد امتحاننا فيما اشترطته في طلابها من العلوم التي تعلموها . وكان الفقيد رحمه الله تعالى يجاري طلبة المدرسة المصريين الذين طلبوا العلم في الازهر نحو ثماني سنين في العلوم التي تعلم فيها غير أنه رحمه الله لم ينطلق لسانه بالتكلم باللغة العربية انطلاق ألسنة المصريين . وفي سنة ١٣٣١ سافرت الى وطننا سمبس والفقيد لم يزل يطلب العلم في المدرسة ، ويشتغل بالمطالعات والمذاكرات والمكاتبات ، ثم خرج من المدرسة واتخذ معلمين خصوصيين لم يفارقهما حتى سافر الى سمبس أول سنة ١٣٣٥ ، وكان قصده التوجه أولا الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ثم الى وطنه ولكن لم يحصل على اذن الحكومة المصرية في السفر الى الحجاز (كانت الأيام أيام الحرب الاوربية الهائلة التي كانت الانكليز تخاف فيها السياسة) وكان رحمه الله متهما بالاشتغال بالسياسة لما وجدته الحكومة المصرية من بعض كتبه الي الذي فيه ذكر أخبار الحرب ، وكان لا يكتب الي الا باللغة العربية .

ولما وصل الفقيد رحمه الله تعالى الى سمبس أحبه مولانا السلطان وازداد رغبة في انشاء مدرسة تعلم فيها اللغة العربية وعلومها والعلوم الدينية والدنيوية كالجغرافية والحساب ، وأمر الفقيد بتأليف نظام للمدرسة المرغوب وجودها في سمبس فألف رحمه الله نظاما بموجب الأمر السلطاني مقتبسا من نظام مدرسة دار الدعوة والارشاد

وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٦ تأسست في سمبس والحمد لله مدرسة عربية دينية تسمى « المدرسة السلطانية » وكان ناظرها ومديرها وأكبر أساتذتها فقيدنا المرحوم المأسوف عليه فكان الاقبال على هذه المدرسة أطال الله عمرها عظيما من أهل البلد فأدخلوا فيها أبناءهم وبناتهم حتى خرج كثير من طلبة مدرستي الحكومة وانتظموا في سلك تلاميذها ، ومن يوم تأسست المدرسة وفتحت كان وما زال رحمه الله يشتغل بالتعليم فيها الى ١٠ رجب الفرد سنه ١٣٣٨ الموافق ١ مارث سنه ١٩٢٠ فانه رحمه الله استأذن مولانا السلطان في السفر الى الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة

(١٠١١ . ٩ . ٠)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي ٢٣ رجب سنة ١٣٣٨ الموافق ١٣ ابريل سنة ١٩٢٠ سافر رحمه الله الى سنغافوره قاصدا مكة المكرمة ، وقبل أداء فريضة الحج حصل له فيها نزيف شديد من فمه فذهب مسرعا الى طبيب الحكومة الحجازية وفحصه ثم فحصه وعالجه طبيب جاوي أرسلته الحكومة الهولاندية الى مكة وقال له : ان هذا الداء هو السل وانك لا بد ان تسافر سريعا الى جاوه — وبعد أن أدى رحمه الله فريضة الحج سافر الى سمبس ولم يمكنه السفر الى المدينة المنورة طبعا وفي يوم الاثنين الواقع في ٥ صفر ١٣٣٩ وصل رحمه الله الى وطنه وهو لم يزل مريضا نحيفا وبعد اسبوع ذهب الى سنكاوغ (احدى قرى سمبس) لاجل التداوي عند طبيب الحكومة الهولاندية فقال له الطبيب الهولاندي انك لابد ان تعالج في بتاوي فاني لا يمكنني ان اعالجك هنا وفي ٣٠ صفر ١٣٣٩ سافر الى بتاوي ودخل الى أحد المستشفيات هناك ثم نقل الى مستشفى في بوفر وكان لا ينقل الى هذا المستشفى الا من تقدمت صحته ، وفي ٨ رجب ١٣٣٩ وصل رحمه الله تعالى راجعا من بتاوي الى سمبس فسرونا سرورا عظيما لانا ظنا انه قد شفي شفاء تاما اذ لم نر فيه الا سعالا قليلا ، وفي يوم ١٦ شعبان سنة ١٣٣٩ عاوده نزيف الدم وازداد مرضا ، وفي ليلة الخميس عند الساعة الثانية ونصف صباحية الواقعة في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ خرجت روحه الطاهرة بعد ان نطق بالشهادتين فحصلت الضجة والجزع والحزن من أقاربه خاصة ومن الناس عامة فلا حول ولا قوة الا بالله العظيم

كان رحمه الله تعالى أديبا ، وخطيبا وسطا ، وشاعرا قليلا ، وكان له في العلوم العربية نصيب وكذا في العلوم الرياضية والعصرية والدينية ، وتدل على ذلك مقالاته التي كتبها باللغة العربية والملاوية ، وكان محررا بجريدة الاتحاد الملاوية التي كانت تصدر بمصر القاهرة ، وكان رحمه الله يقرأ المنار من يوم عرف العربية وكان آخر قراءته له الجزء الثاني من المجلد الثاني والعشرين وله مقالة نشرها المنار أيام كان بمصر . ومن أثر اجتهاده وحسن طريقته في التعليم أن تعلم وفهم في مدة سنتين عدة أشخاص من تلامذته اللغة العربية والنحو والصرف فهما مكنهم من قراءة وفهم الكتب العربية السهلة العبارة ومن الكتابة باللغة العربية على انهم لم يكونوا يعرفون شيئا ما من اللغة العربية قبل دخولهم المدرسة — ولذلك لما وصل الفقيد رحمه الله من سفره تهافت كل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من تلاميذ المدرسة ذكورا واناثا ان يعود اليها مجلها ولكن: ماكل مايتمنى المرء يدركه ، وان ارادة الله فوق كل ارادة وقدرته تعالى نافذة وليس لنا الا الرضاء والتسليم لحكمه وقضائه .

وقد قال كثير من الناس بعد وفاة المرحوم : ان المدرسة تموت قريبا فانه ليس فيها مسلمون أكفاء ، والسبب الاول في موتها عدم الاموال التي تحيا بها والمسلمون بخلاء ضعفاء في الاحوال المالية .

هذا وانني ذكرت ماذكرت من الاطراء والثناء على شقيقي رحمه الله وهو حق ان شاء الله تعالى ، ولا فائدة لي وله في ذلك ما لم يستحقه . وشهد له بذلك جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها كما تشهد له به آثاره التي لا موضع لذكرها هنا .

سمبس برنيو الغربية تحريرا في ٩ شوال سنة ١٣٣٩ الموافق ١٦ يونيو ١٩٢١

كتبه

محمد بسيوني عمران

تقريظ المطبوعات (١)

(كتاب تنوير البصائر ، بسيرة الشيخ طاهر)

صفحات هذا الكتاب ١٥٩ بقطع رسالة التوحيد ومواضيعه ٥٣ وقد طبع بدمشق الشام بمطبعة الحكومة العربية السورية (السابقة) سنة ١٣٣٩ على ورق جيد . ويطلب من مؤلفه الشيخ محمد سعيد الباني بدمشق الشام

(شيء من مواضيع الكتاب)

المقدمة من المؤلفين والكتاب من يفترض لما يريد اذاعته فرصة سانحة فيبدي فيها بعض ما يريد نشره ومؤلف هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد منهم لانك اذا قرأت الكتاب وأردت أن تأخذ منه سيرة الفقيد مجردة — كما يحب المؤلف — لا تكاد تثبت منه الربع وأما الثلاثة الارباع الباقية فهي مواضيع

(١) كتب تقريظ هذا الكتاب وترجمة الشيخ طاهر شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وآراء في الاصلاح والتراجم والنقد ، فهذه المقدمة وهي من ص ٥ ـ ١٤ ليس فيها شيء من سيرة المترجم له بل هي مقالة في الدين ولزومه والبدع والمبتدعة الخ

أعماله وآثاره . ذكر في هذا الموضوع ما كان من أعمال الفقيد من الاجتهاد في اصلاح الكتاتيب والمدارس الرشدية وبعض مؤلفاته وما عدا ذلك فهو في انتقاد العلم وكتبه الخ

استثارته دفائن اللغة العربية . هذا الموضوع في أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيد يزيد على نصف صفحة على انه لم يذكر فيه شيئاً من تلك الدفائن ولا مااستثاره منها وبثه من مرقده ، فهل كان كتاب المخصص من جملة ما أحياه ؟

عنايته باحياء التاريخ . هذه النبذة استغرقت من الكتاب مايقرب من أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيد سوى ما ملخصه « عني الفقيد باحياء التاريخ وارشاد المسترشدين وغيرهم الى مزاولته ودراساته والتمام النظر به وبفلسفته والدلالة على كتبه المفيدة والسعي وراء نشرها وطبعها » وما عدا ذلك فكلام في علم التاريخ وفوائده ولم يذكر ما أحياه من التاريخ ولا ما نشره منه

سعيه وراء التوفيق بين الدين والعلم والعمران . هذا الموضوع استغرق مايزيد على ١٦ صفحة ليس فيها عن الفقيد سوى ما يقل عن صفحتين نسب فيه للفقيد ما لم يعرف عنه وما لم يدعه هو لنفسه (انظر ص ٤٩) والا فليقل لنا المؤلف أين مناظرات الفقيد أو كتاباته في الاجتماع والعمران ومحاجته المحافظين على القديم؟ وارشاد الطالبين وتعليم الجاهلين

وكيف كان داعية اصلاح والمؤلف نفسه يقول ما ملخصه « ولما رأى جدب الزمان من حكماء الاخلاق وساسة الارشاد ، وان معالم الاخلاق طمست ودراستها قد درست ، وان وظيفته وهي الدعاية الى الاصلاح العام (؟) لم تمكنه من التفرغ لارشاد السالكين وعظة الغافلين وتربية الاحداث الخ » انظر ص ٢٩

دعوته الى الاخلاق والتربية . هذا الموضوع أخذ ١١ صفحة كان في الفقيد منها ٣ صفحات نسب فيها للمؤلف ما ليس فيه وذكر صحبته وحبه للمستشرقين وحبهم اياه والمزاورة بينه وبينهم وسرد أسمائهم

فأنت ترى ان الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات جمل في كل واحدة منها كلمات في المترجم له رحمه الله تعالى وهذه براعة من المؤلف أشكره على التفطن لها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكنني آخذ عليه — عملا بقوله قبيل الخاتمة ص ١٤٢ « ومن وجد غلطا في بعض ما عزوته للفقيد ..... فليتفضل علي بتصحيح غلطي » الخ وبعد الاطلاع على « المدخل » و« المقدمة » — ما يأتي فأقول : —

أولا — ان الكتاب بمجموعه لا يصدق عليه اسمه ويصعب جدا أخذ تاريخ حياة الشيخ طاهر منه ، وأن أخذ ما أورده المؤلف من هذه الترجمة لتشتتها بين أطوائه وفي ثناياه على انها لا تكون صورة صحيحة للفقيد

ثانيا — نسب المؤلف للشيخ تلاميذ ومريدين ولم يدلنا على أحد منهم والظاهر لنا انه رحمه الله لم يكن ذا قدرة على التعليم فاننا نعلم انه أقام شهورا عدة نزيلا عند بعض السوريين في السويس وأراد أن يعلم أحد أولادهم النحو وقد رأينا وعاشرنا هذا التلميذ وهو لا يعرف الفاعل من المفعول . فأين هم تلاميذ الشيخ طاهر رحمه الله وأين أمكنة دراسته وتدريسه ؟

ثالثا — لم يذكر المؤلف ما كان له من الآثار في الآثار (العاديات) غير انه « تعلم كثيرا من الخطوط الكوفي والمشجر والعبراني وغيرهم (!) ليتسنى له دراسة الآثار الدارسة ونبشها من عالم الدثور الى عالم الظهور »

رابعا — لم يذكر ما كان من عمل الفقيد في التوفيق بين العلم والدين الخ غير انه كان من علماء كذا وكذا وما لم يدع الشيخ طاهر لنفسه شيئا منه في حياته وانه تبادل الآراء مع المستشرقين وانه كان بينه وبينهم صداقة الخ انظر ص ٤٩ و ٥٠

وكذلك قل عن بقية المباحث . ولو أردنا تتبع الكتاب من أوله الى آخره مازدنا القراء فائدة ولا المؤلف بصيرة وفيما أوردناه كفاية

واليك ترجمة الشيخ طاهر رحمه الله مختصرة مفيدة صحيحة كما وصفها أحد أفاضل علماء الشام ممن له معرفة تامة بالفقيد بعد ان قرأتها عليه اذ قال لي : انها صورة حقيقية مختصرة للشيخ طاهر فأقول : —

الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي

حياته ومولده ونشأته العلمية

هو الشيخ طاهر بن الشيخ محمد صالح أحد مهاجرة الجزائريين ومفتي المالكية بدمشق الشام ، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ ونشأ في حجر والده وتلقى مبادئ العلم عنه في بيته ، ثم اتصل بالشيخ عبد الغني الميداني فحضر عليه علوم العربية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والفقه الخ وهو استاذه الوحيد. وكان له شغف بالمطالعة والمراجعة حتى صار له معارف حسنة في جميع العلوم العربية وعني بقراءة الخطوط العربية وخاصة الكوفي منها وتلقى شيئا من اصطلاحات الهندسة والفلسفة عن بعض ضباط الجند العثماني حتى لم يعد غريبا عن الهندسة النظرية، وكان ذا حافظة جيدة وذاكرة حسنة لا يغيب عن ذهنه ما قرأه في بعض الكتب من نكتة غريبة أو نادرة ومع هذا لم يكن يعتمد على ذاكرته بل كان يضع في كل موضع فيه مسألة يجب الرجوع اليها من الكتب علامة من قطع الورق حتى انه اذا قرأ كتابا ترى خلف الورق بارزة منه، وكثيرا ما كان يكتب رقم الصفحة واسم الكتاب على قطع من ورق تكون في جيبه الذي هو سفطه (محفظته) وجرابه وكان حريصا على تلك النكت حتى انه كان يستطرد لوضعها في مؤلفاته ولو في غير موضعها وتوفي في دمشق يوم ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ ودفن فيها رحمه الله تعالى.

هيأته وزيه وعيشته وأخلاقه

كان رحمه الله قمحي اللون واسع العينين غائرهما نحيف الجسم أبيض اللحية رث البزة غير معتن بنظافة ثيابه وكان لباسه ما تسميه أعراب الشام شبر ويسمى في مصر قفطانا وفي الشام قنباز أو غنباز فوقه جبة أو جبتان ويتعمم بعمامة من الالجباني وكان كثيرا ما يلبس الثوب مرة واحدة فلا يخلعه حتى يبلى ولا يدع الشمسية (المظلة) صيفا ولا شتاء ويضع على عينيه مناظر لتقريب البعيد فاذا اراد القراءة في كتاب رفعها، وكانت له جيوب في جبته كالحرج

وكان حديد المزاج ضيق العطن ضعيف المنة تغلب عليه الوحشة ولعله كان يحس من نفسه بذلك اذ كان يحاول أن يستر الاستياء بمزاح مع جلسائه ومباسطة. وكان كثير الحديث عن علماء دمشق وأعيانها والاسهاب فيما كان عليه معاصروه فيها من الحب والخل والدهان وما كان يدسه هو من الدسائس ليخلص أو يخلص مخلصا أو ليروج مشروعا خيريا من شرهم، ولولا انه كان يجاهر بذلك في أكثر مجالسه ويفخر به ويعبر عنه بالدسائس الطاهرية لما استحسنا ذكره وقد علمنا علم اليقين ان من دسائسه ما كان للايقاع لا للانقاذ

وكانت عيشته عيشة الزهاد مع الحرص على الوقت وكان يقضي عامة ليله في المطالعة على ضوء مصباح من البترول ثم رأى ان ينتفع بنوره وحرارته معا فكان يأتي بقدر صغيرة فيضع فيها شيئا من زيد طبخه بحكم وضعها فوق المصباح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معلقة ويقدر لنضجه ساعات يتعاهده عند انتهائها ، وكان أحيانا يطبخ القهوة في القدر ويشرب منها عدة أيام وربما تعفن وجهها من طول المكث

وكان لا ينام في الليل بل يأتي بينه بعد العشاء ويطالع في الكتب أو يكتب عامة ليله وينام بعد صلاة الصبح الى العصر وكان ولوعا بالدخان والشاي والقهوة جميعا مفرطا في كل منها ولم يكن حريصا على المال

كان خلقه التعفف والكرم مع الحاجة لا يميل الى الطعم ولا الى الثناء وقد اشتدت به الحاجة في آخر أيامه في مصر فباع معظم كتبه من احمد باشا تيمور وكان ينفقه من ثمنها ، وكان يتصدق في كل يوم بملاليم (أعشار القرش) يمدها لذلك ، وقلما يصدر عن مجلسه وارد بفائدة علمية لانه لم يكن يذكر بين الناس شيئا من وسائل العلم لا مفيدا ولا مناظرا ولا مذكرا ولا سائلا ولا مجيبا واذا سأله مستفيد عن شيء أحاله على المراجعة وربما دله على المكان ان كان يرى انه يستحق ذلك ، وكان يرمي الى مقاصده من طرف خفي بدهاء

وربما أومأ الى بعض جلسائه ليوسط بالامر يريده وكان اذا استرسل بالمباسطة فرط فيكثر من الحركات ويغرب بالضحك حتى يخرج عن وقار الشيوخ

وكان متصلبا في رأيه لا يرجع عنه ولو الى الصواب ، حكى لي شيخ عالم فاضل أطال عشرة الشيخ طاهر انهم اختلفوا في كلمة لغوية فكان الشيخ طاهر على رأي تبين بعد المراجعة انه كان مخطئا فيه ولم يرجع الى الصواب

مؤلفاته

ارشاد الالباء ، مدخل الطلاب الى فن الحساب ، قصص الانبياء ، الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام ، مد الراحة الى علم المساحة ، الجواهر الكلامية في العقيدة الاسلامية ، الجوهرة الوسطى ، رسالة في العروض ، وقد أراد ان يجعل هذه الكتب مدرسية وكلها طبعت في سورية ومنها ما أعيد طبعه مرات وله مؤلفات أخرى وهي كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الاتقان ، طبعه بمطبعة المنار ووقفت على طبعه وعنيت بتصحيحه بأدنى ، وكتاب توجيه النظر في الاصول طبعه لها الحاجي بمصر وكتاب التعريب الى اصول التقريب ، طبع بمطبعة النهضة بمصر وشرح خطب ابن نباتة وامنية الالمعي ، وكتاب في التعليم الابتدائي وتفسير القرآن الحكيم ، ولعل هذه الاربعة الاخيرة لم تطبع اذ لم نرها وكان هو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحرر للمجلة السلفية التي صدرت في آخر أيام حياته بمصر وكان يودعها نبذاً من مقتطفاته العلمية ومن كناشته (مفكراته) وكانت تلك المجلة تنوه بكفاءته وقد وعدت بطبعها فيما أتذكر ، وله كتاب « تقويم المجلة السلفية » وان لم يصدر بالمجلة

علمه وعمله

لم يشتهر الشيخ وصرف معظم من العلوم ولا تصدى لتدريس شيء منها فلم يعلم له تلميذ عالم أخذ عنه العلم غاية ما عرف به انه كان ذا اطلاع على اسماء كثير من الكتب حتى قال بعضهم انه نسخة من كتاب كشف الظنون او الفهرست وانعوان لم يحص ما أحصى كتاب من هذين ولكنه كان يعرف مواضع كثير من الكتب وقيمة كثير مما يجب نشره ويجب طبعه ولكنه كان يبخل على الوراقين بارشادهم اليها اذ يرى انهم لا يستحقون ما ينالونه من الربح بطبعها . وكانت له مهرة فنية في سرعة فهم الكتب في أرشده إليها مقابلة آي القرآن المكتوبة على بعض المساجد والاضرحة في دمشق ومصر وكتاب مرض الخطوط للاباء اليسوعيين وله الالمام بالمروف العربية وما نشر من مؤلفاته اذا دل على سعة اطلاع فانه لا يدل على تحرير وابداع ولا على تفقه في العلم أو تمكن منه

وأما عمله فانه كان قد تولى التعليم في المدرسة الظاهرية ثم عين مفتشا للمدارس الابتدائية العثمانية في سورية فكان فيها مثالا للنشاط والذكاء والنصيحة

ومن عمله انه سعى لدى مدحت باشا الوزير العثماني الاداري الشهير عند ما كان واليا على سورية باصدار امره بجمع الكتب العلمية المخطوطة المبعثرة في المدارس الدينية والمساجد بدمشق فكانت مكتبة مفيدة وجمع من البيوت ما أمكن جمعه وجعل في قبة ضريح الملك الظاهر وجعل لها قوام وخدمة ونظام مختصر ، وفي أيام عبد الرؤف باشا والي سورية استحصل على طائفة من الكتب كانت في دور أناس من أعيان دمشق أو جبها الى المكتبة الظاهرية . ثم جعل مفتشا على دور الكتب في سورية وفلسطين فقام بذلك أحسن قيام

ومن مساعيه تأسيس المكتبة الخالدية في القدس الشريف ، وقد عين في آخر أيامه عضوا في المجمع العلمي الذي يرأسه محمد كرد علي في دمشق وناظر المكتبة الظاهرية . وكانت الحكومة عزمت على درس قبر الامام ابن تيمية لوقوعه في حديقة خارج مدينة دمشق فأهاج الرأي العام ضد ذلك وبقي قبر الامام محفوظا بحبه وعناية وأظن ان هذه الحادثة وقعت في أيام مدحت باشا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

نشرة علمية من مقام ومن يقيم في مكة أم القرى بقلم أحد أبنائها الفقراء

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق —

٣٠ في المحرم ١٣٤٠ — ١٠ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢ اكتوبر سنة ١٩٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسلام وسياسة الخلفاء

نقلنا هذه المقالة من الجزئين ٩ و ١٠ من المجلد الاول من مجلة النجم الغربية الغراء.

في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان أعلاه للدكتور انسباطو المستشار السياسي بوزارة خارجية ايطالية نقلته الى اللغة الفرنسية الكاتبة البليغة الآنسة «ماقالي بلانام» فأحببنا تلخيص ماحواه هذا الكتاب المهم لتقراه النجم ليكونوا على خبرة مما تخطه اليوم أقلام المفكرين الاجتماعيين في القارة الاوربية في المباحث الهامة الخاصة باحوال الممالك الاسلامية.

قال الدكتور انسباطو : « لايخفى ان السياسة الاستعمارية لايمكن أن تكون واحدة في كل الجهات والاقاليم وانها تختلف طبعا باختلاف الممالك وتباين عادات واخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستعمر بانفرادها وعقائد اهاليها وانتمائهم المذهبي بخلاف السياسة العامة فانها واحدة في جميع الانحاء لانها مرتكزة على معرفة احوال الاسلام الاساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم من الهجمات الخارجية والانقسامات الداخلية، فان الاسلام من حيث جوهره لم يتبدل لما للمدنية التي تولدت منه من الصبغة العالمية. ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للوفاق والتآخي بين الامم التي اعتنقته على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها وأم سبيل للتعارف الروحي، وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشارا حار فيه فطاحل العلماء — ومن هنا ندرك أهمية الثمرة التي يجنيها السياسي الحاذق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة وفطنة. ولا شك أن درس حقائق الدين الاسلامي على هذه الصورة سيعين على ازالة جميع الخرافات التي يروجونها ضد الاسلام وأخص منها بالذكر مايسمونه بالبانيسلامزم (التعصب الاسلامي) الذي يصورون به الاسلام في شكل هيئة مخيفة تترصد الفرص للقضاء على الكفار: بيد أن الاسلام يظهر لمن عرف أسراره في زي مخالف لذلك على خط مستقيم حيث انه المدنية الوحيدة التي اكتنفت في ملها كل العقول على تباين مشاربها، وأفسحت مجالا واسعا لكل المساعي الصادقة ولو اختلفت طرائقها، كيف لا والاسلام دين التسامح والكرم الانساني وهما صفتان ماوجدتا في قوم أو مدنية الا ونهضتا بها الى أرقى وأحسن الدرجات الاجتماعية ؟ ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم لبلوغ تلك المرتبة العالية الا معرفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمة اوروبية لاتخفى تحت كلمات الرقي والتهذيب والحرية والاخوة التي تنشرها على الوينهائية (الاسترقاق السياسي والاقتصادي) الذي تنفر منه كل نفس أبية اذن فلا خوف مما يسمونه بالبانسلامزم الذي ليس هو الا آلة مرعبة اتخذها أولئك الانتفاعيون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون، وما الحوادث المنسوبة للبانسلامزم الا حركات فكرية عادية لاخوف منها بل ربما أفادت المدنية بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه الغاية الشريفة، ولذا لم يعد هناك موجب للسياسي الاوروبي ان يعنى بغير مركز العالم الاسلامي الاقتصادي، ذلك لان الاسلام من حيث هو قوة عاملة في الحياة الاقتصادية يقدر ان ينمي أو يفقر الممالك التي لها علاقة به ....»

ثم نظر الدكتور انبساطو نظرة اجمالية في الاساليب الاستعمارية التي تسلكها الدول الاروباوية بمستعمراتها فابدى رأيه في كل منها ومما قاله في هذا الشأن «ان سياسة فرنسة بالممالك التابعة لها وان نالت الارجحية نظرا لما امتازت به عن غيرها من حرية الادارة والتسامح الفكري الا انها تفتقر الى فكرة ادارية واسعة بدونها لا يمكن الحصول على الثمرة المطلوبة من الاعمال العظيمة التي قامت بها هناك» ثم قال «انه يجب ان ترتكز سياسة البلاد الاسلامية على معرفة نظامات الاسلام معرفة دقيقة» ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد التي تستند اليها فاتى في هذا البحث العويص بافكار دلت على تضلعه من الفقه الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال «ان القرآن الشريف وأعمال الخلفاء الراشدين هي الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها، وان من اراد ان يفهم شؤونهم وحملهم على المشاركة السياسية يجب عليه ان يقبل مبدئيا كافة قواعد دينهم لانه لاسبيل الى التفاهم مع المسلمين الا اذا عرفوا كما هم لا كما يراد ان يكونوا. والصعوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا الطريق انما هي التمييز بين ما لا يتبدل في الاسلام وبين ما هو قابل للتغيير والتطور والانطباق على الحالات الحياتية الجديدة، لان هذا الدين له خاصية أساسية يجب ان لا نغفل عنها ابدا وهي ملاءمته لكل الظروف بدون خروج عن حدوده الاصلية وصلوحيته لكل الاجيال والاقاليم والاخلاق - ومن الغلط ان نعتقد ان المذاهب الاربعة المضبوطة من حيث شكلها هي قواعد موبدة تقضي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا يصعب التوفيق بينها وبين المدنية الحديثة — ذلك لان سنة النبي تمثل تلك الصفة العالية التي اختص بها الاسلام ألا وهي ملاءمته لجميع الشعوب والاجناس مهما اختلفت منازلها وألوانها ، الا انه يجب على الباحث الاوربي ان يتجنب الآراء الضالة والاغلاط النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك نحكم على حكومة الخلافة اليوم الغاء كل ما قيل أو مر في الاسلام بعد عهد الخلفاء الراشدين ، ولا أقصد بذلك انه يجب اعدام أو اهمال أو مس هيكل العلم الاسلامي الذي وهب العالم اكثر القوانين دواما وأدقها من عدة وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة كانها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسلخ منها ماتراه موصلا لنهوض الامم الاسلامية وسلما ترقى به الحياة والمدنية العصرية »

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف أطوارها وشروطها فقال : « إن الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة تضمن لنا السلم المطلق مع كافة اشياع النبي الكريم (صلعم) المنتشرين في العالم أجمع الخاضعين لتعاليم الكتاب والسنة المحمدية » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام » وختم كتابه البليغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام بقال « لا يمكن ان تحل مسألة الخلافة حلا اوربيا لانها مسألة دينية بحتة وليس لغير المسلمين حق في فصلها وابرامها ولا يجوز لاوربة المسيحية حملهم على تسويتها أو اكراههم على ذلك بوجه من الوجوه ، وعلى كل حال فالخليفة يجب ان يكون حرا بدار الاسلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة العلية عن كل سلطة مسيحية — وليست المشاكل التي ظهرت في الشرق بعد معاهدة سيفر الا نتيجة تعامي انجلترة عن التصديق بهذا المبدأ المسلم » ومن هنا تخلص الدكتور انسباطو الى ابداء رأيه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقق أن سياسة التآخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين النصارى لان الفروق الدينية الفاصلة بينهم لا توجب التباغض والعداء لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها لا يمنع الثقة والمودة بين الامم — كما أكد وجوب الاعتراف بيقظة المسلمين وبحقهم بطلب الى الة العلم والاختراع قائلا : ان انتباههم أمر طبيعي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي مقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك معنا في سبيل المدنية العامة وان يبذلوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد مابذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والاقدام ، ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لايتم الا بواسطة الطبقة المنورة من المسلمين تلك الطبقة المديدة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب الوانا بسبب الظروف الاجتماعية الحرجة المحاطة بها الى الآن فاذا أنجدنا هؤلاء المفكرين وأيدنا رغائبهم فاننا نجد منهم أثمن مساعدة سياسية ويعتقد الدكتور انسباطو انه يجب للحصول على ذلك أن نساعدهم على درس مؤلفاتهم بطريقه عصرية وان نفتح لهم أبواب المدنية الغربية لانهم سيكونون دعائم السياسة الاسلامية واكبر العاملين لانهاض المجتمع الاسلامي لفائدتهم ولفائدة الامم الاروبية المشرفة عليهم لاضدها - ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اروبة المسيحية ان واجبها يقضي عليها باضاءة العالم الاسلامي بنور المدنية والعرفان اذ لاسبيل لان نجد بين المسلمين أشياعا متفانين في مصلحتنا بالوسائط التي استعملتها اروبة الى الآن كالتجنيد الجبري وبث الدعوة بالصور والنشريات واستخدام أعوان لا هم لهم الا اكتساب المال أو امتلاك الذمم بوسائل الارشاء على اختلاف أنواعها لان الامم الاسلامية لايمكن لها ولا ترضى ان تقبل بالتضحية لغاية مغايرة للغاية التي ترمي اليها ، وهنا اضع القاعدة الاساسية لاتفاقنا مع الاسلام راجيا ان تسمع نصيحتي وان تكون كقانون ثابت لايتبدل وهي ان تسمح اروبة للمسلمين بان يعملوا لصالحهم ولصالح الاسلام . ويومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا التمدنية فقط بل الصديق والحليف الذي يقلب بيقينه المكين العوالم ويحرك الجبال » اه

(المنار) لم نر لاحد من كتاب الافرنج كلاما مثل الدكتور انسباطو جمع بين الحق والمصلحة المشتركة التي لايمكن التوفيق بين الشرق والغرب بدونها فهذا الكلام مبني على علم صحيح بالاسلام والمسلمين ونصيحة حكيمة للافرنج المستعمرين ، ولكن أهل الشره والنهم من هؤلاء المستعمرين قلما ينظرون في كلام أمثال هؤلاء العلماء الناصحين ، والواجب على العقلاء منا أن يتعاونوا مع أمثاله في سبيل خدمة الانسانية بهذه الطريقة السلمية فان لم يقبلها المنهومون اليوم فسيندمون غدا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القضاء والقدر في نظر الغربيين

مقالة منقولة عن المجلد الخامس عشر من مجلة الحج الأول

هي نخبة من علماء الافرنج بالبحث في اسباب رقي الاسلام وعلل انحطاطه ودونوا ذلك الكتب الضخمة واستفرغوا المجهودات الجمة وانفقوا الاوقات النفاسة، فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان رقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في الاعصر المتقدمة وسرعة انتشار الدين الحنيف في اطراف المعمورة انما الفضل فيه لبساطة تعاليم الدين ووضوحها وموافقتها للفطرة التي فطر الله عليها الانسانية، فبساطة تعاليم الدين ونزاهة غرضه وسمو مبادئه قد جابت اليه أقواماً دخلوا فيه أفواجا وهرعوا الى اعتناقه زرافات ووحدانا، فاصبحوا بنعمته اخوانا، وعلى تأييد أعوانه ولحماية بيضته انصارا وأخدانا

اهتدوا بهديه وأشرقت على قلوبهم شمس رشده التي أضاءت لهم سبل السداد وأنارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في أطراف المعمورة يسعون في تشريك الأمم في هذا النور العظيم ويعملون على ايقاظ الشعوب الذين كانوا ينامون في ليل من الجهل بهيم وشهد التاريخ ودلت الانباء وأجمعت كلمة المؤرخين المنصفين على انهم كانوا في تلك الاثناء رائدهم الصدق والاخلاص، وقائدهم العدل والاحسان؛ ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق ببني الانسان. اما الصفات التي سادوا بها فحدث ماشئت عن ثبات وجلد ويقين في النجاح وصبر على السراء والضراء، وشكر في حالتي الشدة والرخاء، وسواء لديهم أطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء. هذا الى عزم يقد الجبال، واتحاد في السر والاعلان، وتظافر على المصالح واعتصام بحبل الله في جميع الاحوال. هذه الصفات العالية اذا انطبعت في نفوس وهم عربية زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وأدركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعة البرق على أهم ارجاء العالم في ذلك التاريخ

على ان اولئك العلماء الذين أشرنا اليهم في مطالع هذا الفصل قد نظروا أيضا نظرة نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على المسلمين بالتقهقر في بعض الجهات وما هي العوامل التي أفضت الى تقلص ظل نفوذه من كثير من الاقاليم والولايات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الديني والقومية اللذان لم يتغير من جوهرهما شيء كما كنا بيناه في مقال قبل هذا) فأطبقوا على ان ذلك نتيجة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لازمة تؤول اليها كل امة أخلدت الى الترف ومالت الى الراحة وجبرت في اعقاب الشهوات وأهملت الاخذ باسباب الحزم وتقاعست عن مجاراة الامم الراقية في حلبات العمل، فنهم من يعزو الفشل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم التي يتوهمون انها تأمر بالرضى بالمقدور والاستسلام للامر المقضي، وهو وهم شائع عند كثير من الافرنج . وقد اعتنى بدحض ذلك أكابر علمائهم . والى القارئ الكريم مقتطفات من كلامهم تقوم انموذجا على ما وصلوا اليه من بعد الغور في المباحث العلمية ، ودقة النظر في الاحوال الاجتماعية

قال بارتلمي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية أحوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر :

« ومنهم من يتوهم ان الدين الاسلامي يأمر اشياعه بالكسل والفتور وارسال الحبال على الغوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم أدنى اليه قلة التثبت واهمال الروية في فهم اسرار هذا الدين

«رأينا فيما تقدم (في فصل سيرة النبي عليه السلام) حركته المستمرة وثقته بنفسه واعتماده عليها وماكان توكله على الله بأقل صدقا ، لكن كان يكتنفه حدود معقولة ولم يتمد قط الى ذلك التمامي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا القضاء والقدر، القرآن يأمر المسلمين بالاذعان التام والاستسلام لمشيئة الله الامر الذي أوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا لم نعثر في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبي على مايشعر بخلع أشرف المدارك النفسانية (الارادة) وتعطيلها عن العمل

«وليست الاحالة على المقادير الا سلة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب عليها الكسل ونامت بحمل واجباتها فاستنامت للاقدار ، وحكمتها في نفسها تفعل ماتشاء وتختار . عندي ان هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن عوائد الترف والاخلاد للراحة والنعيم فهو عجز عن العمل لاعقيدة وعلى كل حال فليس القرآن هو الذي يدعو اليه . اللهم الا اذا ارادوا تفسير بعض الآيات على غير ما اشتملت عليه حقيقة . الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه وافتقاره لخالقه ووجوب الخضوع له والركون لمشيئته ولكن ليس ثم مايثبط بنبذ أجل قوة وأشرف موهبة اختصنا بها الباري سبحانه وهي الارادة .

«وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا « فيل » و « سبرنجر » فلنجمع صوتي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الى اصواتها ونقول : ان هذا الدين لدين عمل لا افشل رغم معتقد الجبر »

وقال غستاف لوبون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب « سر تطور المادة » في كتابه « حضارة العرب » مايأتي :-

« القرآن لم يأمر الناس بترك السعي والعمل أو الانسلاخ من خواص غمرات التنافس الحيوي فهو في هذا الموضوع لم يأت باكثر مما في الكتب السالفة « التوراة » مثلا يعترف نخبة من الفلاسفة ان مجرى الامور لا يلحقه تبديل ، ونظام الخليقة يد مبدعة لا يعتريه تغيير ، فقد قال لوز : « منقح الديانة المسيحية تتفق « معظم آيات الكتاب في صعيد واحد على مناسبة « الحكم الحر Lidre ardiltre » وهذه الآيات لا أسفي لها عدد ابل هي الكتاب بأجمعه . وهذه عقيدة القضاء والقدر مفعمة بها الكتب الدينية لكل الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة دونها قوى الرجال والآلهة والحوادث التي سطرتها لا يمكون في وقوعها فهذا « أوديب » حين أخبره الكاهن ان سيقتل أباه ويتزوج بامه حاول إبعاد ايقاف هذا الامر فطفق يقدم النذور وانواع القربات للآلهة بدون جدوى الى ان ضربت الايام بضرباتها فاذا هو متزوج بامه قاتل اباه كما هو مشهور . فالنبي العربي (صلى الله عليه وسلم) لم يأت بشيء عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة من بعده أي علماء العصر الحاضر فانهم يقولون كما قاله « لابلاس » و « بنيتر » : ان عالما (الله) يكتنفه في طرفة عين القوى والاسرار التي في الطبيعة على اتساعها وتباعد اطرافها ويحيط خبرا باحوال الكائنات التي وضعت فيها كبيرها وصغيرها دقيقها وجليلها من شأنه ان لا يفوته شيء وان يكون علم المستقبل لديه كعلمه للماضي .

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائعة في فلسفة الشرقيين ويدين بعض فلاسفة العصر هي نوع من الصبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودرع حصينة لمكافحة النوائب والمضاضات . وقد كان العرب عاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم ثم استمر عليها المسلمون ولم تدخل في شيء من ارتقائهم ولا من انحطاطهم اه

(المنار) ان ماشرحناه من حقيقة معنى القدر في القرآن ينقض بناء عقيدة الجبر التي اتبعنا بها سنن من قبلنا وفتن بها كثير من المتكلمين والصوفية فكان لها ذلك التأثير حسبه كثير من علماء الغرب من الاسلام وما هو منه بل سرى الى اهله ممن قبلهم كما فطن لذلك بعض المحققين منهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صفحة	س	خطأ	صواب
٤٨٣	٨	بأسنا	بأسه تعالى
٤٨٥	٥	ولوشاء	ولو شاءات
٤٨٧	٢	حجه	حجة
»	٢٥	بن	ابن
٥٠٣	٢	،	
»	٨	هذه	هذا
٥٠٤	٢٨	انها	بأنها
٥٠٥	٢٧	اداراتها رعده	ادارتها رعده
٥٠٧	٥	التى	التي
٥١١	١٧	مدرار الملائكة	مدرار الملائكة
»	٢٢	يجاذب	يجاذب
٥١٢	٢١	نقلو	نقلوا
٥١٣	٢٠	تتسامى	تتسامى
»	»	الرأفة الرأفة	الرأفة —
٥١٧	١٣	وافق	وافقت
٥١٨	٤	له	
٥١٩	١	وماقنين	وماقتين
»	١١	مطمع	مطمع فيه
٥٢٠	٩	واذا	اذا
»	١	اذا	اذ
٥٢٣	١١	زكي	ذكي
٥٢٤	٢١	لم يكن	لم يبق
»	٢٥	من القيام	نهم القيام
٥٢٦	٦	حبار	اخبار
٥٢٨	٩	[illegible]	[illegible]

صفحة	س	خطأ	صواب
٥٢٨	١٠	المفضوضة	المفضوحة
٥٢٩	١٦	والمروة	في المروة
٥٣٠	١	وكان	كان
»	٤	وفرضتها	وفرضها
»	١١	أول اتصال	الاتصال
»	١٢	بحيث	بحيثا
»	١٣	فيه	منه
٥٣١	٤	والتعصب	التعصب
٥٣١	٤	قطنوا	فطنوا لها
»	٥	الشيخ	مقالة الشيخ
٥٣٢	١٠	اعتزال	اعتزالا
»	٢٠	تجلي	تحلى
»	٢٢	،	
٥٣٣	١	جزء من خطأ	جزءهم من كما خطأ . ولا
»	٣	كما خطأ	أخطأ
»	١٧	انقوا	اتقوا
٥٣٤	١٢	بهما	فيهما
٥٣٥	١٨	القمس	والقمس
٥٣٦	٦	السيل السيل	السبيل
»	٧	الامضاء	الرمضاء
٥٣٨	٢٢	خلافا	اختلافا
٥٣٩	١	يمينا	ثمينا
٥٤٢	٤	صفير	صغيرا
٥٤	٩	حادث	حادثا
»	٢٥	أذيته جفرا	استلزم أن [illegible] الارهاق
٥٤٦	١	الارهاق	
»	٣	اتفاق	اتفاقات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بحث لغوي (١)

في براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية

لا يزال اصل اللغة العربية مجهولا أي ليس في كتبها ما يدل على المرجع الذي ترجع اليه الفاظها . وقد وفقني الله الى تمهيد السبيل المؤدي الى ذلك أي الى ارجاع كل كلمة الى اصلها والى تدوين قاموس اللغة تدويناً مؤسساً على اصول ثابتة تظهر اللغة بمظاهرها الحقيقية، والذي حملني على ذلك ماظهر من نقوش قديمة محفورة على جدران معبد الدير البحري في طيبة الغربية وازاء القصر من الغرب تدل على ان المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصلهم فاثبتوه بالحفر على آثارهم قائلين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جمع عنو) أي انهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل واسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية العين (الجنوبية) ومنها العين الجنوبية وهي ارمنت ومنها عين التي سميت فيما بعد دندره . ولما نموا وكثروا تفرقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم أعناء الحنو واللوبيين توجهوا الى بلاد القيروان وتونس والجزائر وسكنوا فيها، وفريق آخر يسمى اعناء المنتو هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتدا الى فلسطين . وفريق ثالث يسمى اعناء السيتو سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . وفريق رابع يقال له اعناء الكنوز وهم اهل النوبة . وهكذا تفرق الاعناء وتوطنوا في الجهات التي ذكرناها وبنوا فيها لفترة مدة من الدهر فكانت لغة البلاد التي تتكلم الى الآن بالعربية . فاللغة المصرية أي لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا مراء بنص النقوش المذكورة آنفا وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصاً صريحاً في آيات كثيرة

قال المفسرون ان في القرآن الشريف كلمات غير عربية لكنها لا تخرجه عن العربية كما ان الكلمة العربية اذا وردت في القصيدة الفارسية لا تخرجها من كونها فارسية . وانا أخالف هذا القول مخالفة كلية لما سأذكره بعد

(١) للعالم الاثري المحقق احمد بك كمال نقلا عن المقتطف (ج ٣ م ٥٩)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ حمزه فتح الله جميع الكلمات الواردة في القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبعها بامر نظارة المعارف العمومية سنة ١٩٠٢ ميلادية وها انا ذا اخالفه في ذلك مبينا انها عربية لورودها في اللغة المصرية القديمة التي هي اصل العربية كما ترى فيما يلي

(١) اكواب واباريق — من سورة الواقعة (٥٦ : ٨) قال الشيخ رحمه الله : الاولى نبطية والثانية فارسية . ومن المعلوم ان اللغة النبطية قريبة من القبطية التي ترجع الى لغة الاعناء واكواب جمع كوب وردت في اللغة المصرية بلفظ قب وقوب وقبو وبالعبرية كب وبالقبطية كاب وكابي وكيبي وهي مشتقة من مادة قأب الواردة في اللغة المصرية القديمة وفي العربية أيضا بمعنى شرب فيقال قأب الماء شربه أو شرب كل ماء الاناء ويقال اناء قوأب وقوأبي : كثير الاخذ للماء . ورجل مقأب : كثير الشرب . كما يقال كاب يكوب كابا شرب بالكوب . فالكلمة مصرية عربية كما يتضح من موادها المذكورة في القواميس العربية

أما اباريق فهي جمع ابريق وليست بفارسية بل هي مصرية وجدت مكتوبة في حجر نقش بامر احد ملوك الحبشة وعثر عليه في دنقلة فبقيت في العربية بهذا اللفظ وقد جاء القرآن الشريف بها قال تعالى (اكواب واباريق وكأس من معين) أي من ماء طاهر . والكاس وردت أيضا في المصرية والعبرية بهذا اللفظ وورد أيضا في المصرية كاز وفي القبطية كاجي بمعنى الكوز ومن ثم نعلم ان ابريق وكاس وكوز كلمات مصرية وعربية ليست من الاعجمية في شيء

(٢) اب — وردت هذه الكلمة في نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة آبو كما وردت في قرطاس ابرس . وفي القاموس المحيط الاب الكلأ او المرعى او ما أنبتت الارض والخضر فهي اذن عربية لا أعجمية

(٣) سرى — قال الشيخ رحمه الله : انه نهر بالسريانية او القبطية او اليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين انه مشتق من سرى يسري وسرى به فاشتق منه سرى أي النهر لمسيره وجريانه وقد وردت سرى في المصرية بهذا المعنى في لوحة الاحصاء وجاء في العربية ايضا ظرى يظرى : جرى الماء وبطنه لم يتمالك لينا . فنطقها لغة في سرى بقلب الظاء سينا لقرب المخرج فهي قريبة منها في المعنى لقرينة الجريان . وعلى كل حال فمادة الكلمة عربية ومصرية وليست باعجمية كما قال المفسرون

(٤) — هيت قال الشيخ رحمه الله : معناها هلم بالقبطية او السريانية او

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحورانية أو العبرانية والحقيقة انها من هيت له صاح به ودعاه وهيت لك وقد يكسر أوله أي هلم. ووردت هيت بمعنى اقبل ودكرت في العربية والعبرية ايضا بغير التاء فيقال في العربية هيا أي اسرع واقبل هكذا وعليه فهي عربية محضة خلافا لما قاله المفسرون

(٥) رس — قال الشيخ رحمه الله الرس البئر أعجمية . مع انها وردت في القاموس المحيط وغيره من معاجم اللغة انها البئر المطوية بالحجارة وبئر كانت لبقية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دفنوه، اذمن معاني رس الحفر والدس ودفن الميت. وقد ذكرت كثيرا في النصوص المصرية القديمة وكثيرا ماتلحقها تاء التأنيث ومعناها البئر المعدة لدفن الموتى اذ كان من عادة المصريين القدماء ان يدفنوا موتاهم في آبار ينحتونها في الجبال والصخور فهي عربية ومصرية بحتة

(٦) قط — قال تعالى في سورة ص (٣٨: ١٦ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) قال الشيخ رحمه الله: اي كتابنا بالقبطية . وجاء في القاموس للفيروزابادي قط بالكسر الصك وكتاب المحاسبة جمعه قطوط. والقطاط اي الخراط وهو من مادة قط اي قطع عامة وعرضا او قطع شيئا صلبا كالحقة. وفي المصرية قط وجمعه قطوط أي كاتب والقطاط الخراط او الخياط (راجع مفردات دارمان الصحيفة ١٣٥) وهي في المصرية من مادة قط أي قطع النقوش في الاحجار أي حفرها بقلم الحفر لان قط وخط معناهما في المصرية واحد وهي الكتابة بالحفر أي رسم الشيء بالقطع او الخرط . فالمصرية تظهر حقيقة المعنى في الكلمتين وكان من عادة المصريين في كتابة نقوشهم ان يرسم الكاتب النصوص بالمداد الاحمر على الجدران في المعابد او المقابر او نحوها ومعنى أنهما أتى القطاط فيقطعها بقلم الحفر شيئا فشيئا حتى يتم حفرها كما يفعل الآن في النقش على الاحجار، هذا هو المعنى الاصلي لقط وخط فالقطاط لغة في الخطاط أي النقار او النحات أو النقاش وقد يطلق عليه الآن في عرف العامة ويقرب من هذا المعنى القديدي والجمع وقديدون لتباع العسكر من الصناع كالمشاب والبيطار (قاموس المحيط) وكالنحات لانه اسم مشتق من مادة قد أي قطع مثل قط فالكلمة اذن عربية لاخط لها من العجمة

(٧) يم — في قوله تعالى (فغشيهم من اليم ماغشيهم طه ٢٠ ٧٨) قال الشيخ رحمه الله معناها البحر بالسريانية او العبرانية او القبطية — وهي كلمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصرية وردت بهذا المعنى في اللغة المصرية القديمة تطلق على النيل وعلى البحر ويقال لها في القبطية أيام وايوم وايوم بامالة عين الكلمة في اللفظ الثالث وذكر في القاموس المحيط اليم : البحر ويم بالضم فهو ميموم طرح فيه فهي عربية بل مريقة فيها لوجودها مذكورة بلفظها ومعناها في المصرية ثم في القبطية

(٨) — يحور في قوله تعالى (انه ظن ان لن يحور : الانشقاق ٨٤ : ١٤) قال الشيخ رحمه الله تعالى: يرجع انها بالحبشية. والحال انه فعل متصرف من حار بمعنى رجع ونقص وحاوره يحاوره : تراجع في الكلام . وحار يحار حيرة أي نظر الى الشيء ولم يهتد فهي مادة عربية محضة وذكرت في المصرية بلفظها ومعانيها في قرطاس سلير وقرطاس انسطاسي وقرطاس هرس وفي الدنكيلر وفي مدحة النيل لماسبرو

(٩) سينين ـ في قوله تعالى من سورة التين (٩٥ : ٢ وطور سينين) وهو جبل بالشام ويقال له ايضاً (طور سيناء) في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠) في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء) . قال الشيخ ان الاولى والثانية معناها بالحبشية الحسن . والحقيقة ان اصلهما في المصرية والعربية من مادة ان كذا واناز وانين ومأنان ثم ألحق بها السين فصارت سيناء وسينين أي حسن هذا ماأيدته اللغة المصرية القديمة ووجد مطابقاً للعربية وقد جاء في القاموس المحيط سنن النطق أي حسنه ورجل مسنون الوجه مملسه وهي مؤنث سنى من مادة سنيت فهذا يؤيد ان سينين وسيناء لفظان عربيان بلا نزاع

(١٠) قيوم ـ في قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم : البقرة ٢ : ٢٥٥) قال الشيخ رحمه الله معناه الذي لاينام بالسريانية . وفي المحيط القيوم والقيام الذي لابد له من اسمائه عز وجل وهو مشتق من مادة قام قوماً وقياما . وقد ورد هذا اللفظ في المصرية وذكره ارمان في مفرداته (الصحيفة ١٣٦) فقال قيوم صفة واله أوجد نفسه بنفسه سماه اليونان (كاميفيس) والكلمة مركبة في المصرية من لفظين معناها قيم الام أي زوج الام أي زوج وام في آن واحد أوجد نفسه بنفسه ثم ركب تركيبا مزجيا فصار صفة يراد بها الموجد لنفسه فهو ليس من مادة قام العربية والمصرية بل هو كلمة قائمة بذاتها عريقة الاصل في كلتا اللغتين

وسيأتي الكلام على سائر هذه الالفاظ احمد كمال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخيال في الشعر العربي

٧

أطوار الخيال

كان العرب زمن الجاهلية يعيشون في مواطن لا يشهدون فيها غير مناظر فطرية كالكواكب وبعض النبات والحيوان أو مرافق حيوية ووسائل حربية كالرحى والجفنة والرمح والحسام ، ولصفاء قرائحهم وسلامة أذواقهم أضافوا الى هذه الحقائق ما يخطر على ضمائرهم ويدركونه بحاسة وجدانهم من المعاني التي لا تنالها الحواس الظاهرة كالحب والبغض والرضاء والغضب ونسجوا منها على منوال التخيل صورا بديعة

وان رأى المدني اليوم ان معظم تلك الصور من التخيلات القريبة فمدرهم في ذلك انهم لم يدخلوا في مسالك الفلسفة ولا عودوا أنفسهم التنقيب عن المعاني الغامضة وانما كانوا ينطقون بالشعر على البداهة ، فمن وفقت له على معنى رائع كقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

فقد لفظته قريحته عفوا وانساق اليها بدون اجهاد نظر ، ومن ثم كانت أمثال هذا التخييل البديع نادرة في أشعارهم ، ولو كانوا ممن يذهب في صوغ المعاني الى ازعاج الفكر وحثه على استخراجها من مغاصها العميق كما يفعل المولدون لظفرنا لهم بنظائر لا تحصى ، ثم ان التخييل كسائر الملكات والصنائع انما ترقى شيئا فشيئا وتتكامل يوما فيوما ، فتطلع لزهير بن أبي سلمى مثلا على تخيلات لا تظفر بها في أشعار من تقدموه بأمد بعيد ، فالمهد الذي يعبر فيه هذا الشاعر عن معنى ان من لم يجب الى الامر الصغير يقع تحت وطأة الامر الخطير بقوله

ومن يمس أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

لا يصح ان يكون من أوائل العصور التي ظهر فيها التخيل الشعري فان هذه الغاية من حسن البيان لا يدركها الناس بفطرتهم الا بعد ان يتقلبوا في سبيلها أطوارا ويقضون في السير اليها أحقابا ، كما ان ابن سفر الاندلسي لو نشأ في البيئة والعصر اللذين نشأ فيهما زهير لم يسهل عليه ان يصف لهم الصعلكة التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يصمد فيه المد مسافة بعيدة ثم يحسر بقوله

شق النسيم عليه جيب قميصه فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزؤا فضم من الحياء ازاره

ثم بزغت شمس الاسلام وكان من أساليب القرآن في الدعوة ان ضرب الامثال الرائعة وصاغ التشابيه الرائقة والاستعارات الفائقة والكنايات اللطيفة ، ويضاف الى هذا ما كان ينطق به الرسول عليه الصلاة والسلام من الاقوال الطافحة بالامثال والاستعارات والكنايات التي لم تخطر على قلب عربي قبله ، فكان مطلع الاسلام مما زاد البلغاء خبرة بتصريف المعاني وترق بهم الى رتبة سامية في صناعة الخيال

أخذ الخيال يتقدم بخطوات أوسع مما كان يسير به في الجاهلية ولكن الادباء الى أواخر عهد الدولة الاموية لم يحيدوا عن طرقه المعهودة ويغيروا أساليبه تغييرا يحس به كل أحد ، فلو قال قائل ان عبدالله بن الدمينة أو عمر ابن أبي ربيعة أو جميلا أو كثيرا شاعر جاهلي لم يكن لك ان تدخل الى مغالبته وابطال دعواه باقامة الحجة من مناهج تخيلاتهم كان تجلب له من أشعارهم أمثلة ينكشف بها جليا انهم ساروا في التخيل على نمط لم تنسج عليه الجاهلية ، ولكنك اذا نظرت في مجموعة الشعر الجاهلي ثم وازنته بمجموعة الشعر الاسلامي تيقنت ان الخيال قد بعد شأوه واتسع نطاقه لانك تقف على تصرفات كثيرة من تشابيه مبتكرة واستعارات لم يحم عليها شعراء الجاهلية وان كانت مفرغة في قوالبهم مرسومة على خططهم

ثم ظهر في أوائل عهد الدولة العباسية مثل بشار بن برد وأبو العتاهية وأبو نواس وعبد السلام الملقب بديك الجن فأصبحت مسافة الفرق بين الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي واضحة لكل من له أدنى تعقل ، فلو ادعى مدع ان عبد السلام الملقب بديك الجن شاعر جاهلي لكفاك ان تتلو عليه نبذة من شعره الذي أوغل فيه الى حد يبدو عليه أثر التصنع كالبيت الذي أعجب به أبو نواس وقال له عند ما اجتاز به وهو يحسب انك قد فتنت به أهل العراق أعني قوله يصف الخمر

موردة من كف ظبي كانما تناولها من خده فأدارها

وجاء بعد هؤلاء ابن المعتز وابن الرومي ومسلم بن الوليد وأبو تمام وقد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استحكمت هوى المدنية وتجلت لهم الحضارة في أجلى مظاهرها فكانوا أكثر ممن تقدمهم تفننا في صناعة التشبيه والاستعارة وما يلحق بهما من تصرفات الخيال كالتورية والمقابلة وحسن التخلص من غرض الى آخر، وهذا لا يمنعك من ان تقضي للسابقين بأنهم أقوى عارضة وأدرى بصناعة الشعر من ناحية سبك الالفاظ ومتانة بنائها

وبعد ان عني الناس بالنظر في شؤون الكون وسلكوا في البحث عن أسراره طريقا فلسفيا أخذ الخيال الشعري يعمل في الحقائق الفلسفية ويجري وراء الفكر كالمسعف له في تصوير تلك المعاني الغامضة كما تراه في مثل قصيدة ابن سينا في النفس المفتتحة بقوله

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقصيدة المعري المفتتحة بقوله

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

وقول أبي بكر بن الطفيل يصف حال الروح والجسد

نور تردد في طين الى أجل فانحاز علوا وخلى الطين للكفن

ياشد ما افترقا من بعد ما اجتمعا أظنها هدنة كانت على دخن

ان لم يكن في رضا الله اجتماعهما فيالها صفقة تمت على غبن

وفي هذه الضيقة خرج كثير من أشعار الصوفية كما تراه فيما ينسب الى الشيخ محيي الدين بن عربي وابن الفارض

وقام بأزاء هذا المنزع الفلسفي ان الشعراء عند ما اتسعت دائرة العلوم الاسلامية ونقلت العلوم النظرية الى العربية مد بعضهم يده الى قضايا هذه العلوم واصطلاحاتها وخلط بها تصرفاته الخياليه كقول ابي تمام

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء

قول حيص بيص

لا تضم من عظم قدر وان كن ت المشار اليه بالتعظيم

ولم الحر بالعقول رمى الده ر بتنجيمها وبالتحريم

وقول ابن الخطيب

ونقطة قلب اصبحت منشأ الهوى وعن نقطة موهومة ينشأ الخط

وكذلك كانوا يقتبسون من سائر العلوم والصنائع حتى راق لكنه ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتأخرين أن يجعلوا قصائدهم كنموذج يلوح به الى علوم شتى

ومما حدث من ممارسة هذه العلوم ايراد التشبيه في أساليب منطقية كقول بعضهم

لو لم يكن اقحوانا ثغر مبسمها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

ومن تقصى أثر الشعر العربي ولاحظ الاطوار التي تدرج فيها الخيال أخذ في نفسه قوة تساعده على الفصل في بعض الابيات أو القصائد التي يتنازع الرواة في نسبتها الى قائلها ، فالقصيدة التي جاء في أثنائها

قالت لطيف خيال زارني ومضى بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لو مات من ظمأ وقلت قف عن زلال الماء لم يرد

يعزوها بعضهم الى الوليد بن اليزيد ومن لاحظ أن القصيدة جمعت فنونا من الخيال لا يفحص عنها ويجمعها في نظم واحد الا شاعر نشأ أيام دخل التصنع في الشعر وهو عهد الدولة العباسية أعرض عن هذه الرواية وذهب الى ان تكون كما قيل لابي القاسم بن طباطبا المتوفى سنة ٣٤٥ أو ذي القرنين بن حمدان المتوفى سنة ٤٢٨

ترقى التخيل يوم دخل الشعر في طور التصنع ولكن التصنع هو الذي جر الى استمارات مكروهة وتشابيه سمجة ايضا فقد اقتحم ابو تمام والمتنبي ومن تقدمهم في هذا الغرض مساوئ لم يرتكبها الجاهلية ، فالعربي الصميم — وان كان معظم تخيلاته ساذجة — لا يعالج قريحته ليستنبط لك منها مثل قول ابي نواس

بح صوت المال بما منك يشكو ويصيح

أو قوله

ما لرجل المال أضحت تشتكي منك الكلالا

وتمادى الشعر ما بين تخيل فطري وتخيل فلسفي وتخيل علمي الى هذه الاعصر وان كان النوع الاول هو الغالب في النظم والمألوف في التخاطب لان التخيلين الفلسفي والعلمي ، انما يليقان بكلام يوجه به الى الخاصة من الناس واما التخيل الفطري فيصلح لخطاب الخاصة والجمهور

والضرب الفلسفي لا يمد في الحقيقة تطورا في نفس التخييل وانما هو تطور لحقه من جهة دخوله في منزع جديد أعني الخوض في حقائق وسنن كونية على طريقة النظر العميق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القياس في الاشتقاق

تابع ما نشر في الجزء الثامن ص ٦١٦

ومن الاصول التي يراعونها في الكف عن القياس وعدم الاخذ بالامثلة القليلة في تقرير أحكام هذا الباب قاعدة تجنب مايوقع في لبس واشتباه ، ولهذا لم يجز الجمهور صوغ فعل التعجب واسم التفضيل من الافعال المزيدة لان الصيغة لاتسع الا الحروف الاصلية واذا سقطت الحروف الزائدة عميت على السامع معانيها الخاصة كالمطاوعة والتكثير والمشاركة والطلب فيضيع بعض المعاني وتخلو العبارة عن الفائدة المطلوبة ، فما ذهب اليه الاخفش والمبرد من اباحة اشتقاق أفعل التفضيل من جميع المزيد غير مستقيم وانما أجاز سيبويه اشتقاقه مما جاء على وزن افعل خاصة اعتماداً على ان ماروى من شواهده قد بلغ من الكثرة مبلغاً يجعل مأخذ القياس عليه سائغاً . ودخل ابن عصفور الى هذه المسألة من باب النظر فأجاز القياس في أفعل خاصة كما يقول سيبويه ولكنه شرط ان تكون همزته لغير النقل نحو أظلم الليل وأقفر المكان لان أفعل الذي تكون همزته لغير النقل (يعني التعدية) لايزيد على معنى الثلاثي وهو الدلالة على مجرد الحدث فلا يدخل زنة التعجب أو التفضيل خلل في المعنى وهذا التفضيل وان كان أقرب الى الاصول لم يقبله الشاطبي بدعوى ان الاجماع قد انعقد على ثلاثة مذاهب . والاجماع لايخرق ولو في الاحكام اللفظية !

ومما يجري على قاعدة تجنب اللبس منعهم من صوغ التفضيل والتعجب من المبني للمجهول لان صوغهما منه يؤدي الى التباس وصف الفاعل بما يقصد به المفعول ، وقد حقق النظر من أجاز صوغهما من الافعال اللازمة لصيغة المجهول نحو عني وزهي وهزل وارعد وأغمي وغم واهل ونحي اذ لايعرض عند ايرادها في احدى الصيغتين التباس

ويدخل في هذا الصدد اشتقاق فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل وجريح وصريع فقد وقف فيه بعضهم عند حد السماع واغلقوا دونه باب القياس وفصل آخرون فنموا القياس فيما ورد منه فعيل بمعنى فاعل نحو علم وسميع حيث ورد اسم فاعله على فعيل فقالوا عليم وسميع . وأباحوه فيما عدا ذلك ، وقد تخلصوا بهذا التفصيل من المحذور الذي تحاشاه الذاهبون الى منع القياس باطلاق وهو التباس وصف المفعول بوصف الفاعل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأصل الاحتراز عن اللبس والابهام في اللغة مكين . بيد انه لايخلو كسائر القواعد الوضعية من جزئيات تأتي على خلافه كالاسماء المعتلة العين نحو مختار ومنقاد والفعل المضاعف نحو يضار ويشاد . فان هذه الصيغ تطلق في وصف الفاعل والمفعول ويعول في فهم مايراد منها على قرينة حال أومقال . ومثل هذا مما دار على السنة الفصحاء وشاع حتى لم يبق ريب في صحة اطراده فسح له مجال القياس ويبقى غيره مما فيه ابهام المراد على أصل المنع حتى يمحض دليل السمع بجوازه . فاذا وقع النزاع على اشتقاق يحصل معه احتمال بخلاف المراد فالاصل بيد المانع حتى يقيم المجيز الشواهد الكافية للقياس .

ومما يوردونه عذرا في الحكم - ترد به أمثلة كثيرة ويأبون جعله قياسا مطردا - الاستغناء عنه بصيغة أو صيغ أخرى . كما قال الرضي ناقلا عن سيبويه ان باب « فعلته » الذي تضم فيه العين للمغالبة مسموع بكثرة ولا يصح القياس عليه للاستغناء عنه بنحو « غلبته » . وربما تعللوا بهذا الوجه في استثناء بعض الفاظ تشملها قاعدة فيحرمون بالمنع من اجرائها على القاعدة استغناء عنها بصيغة أو جملة تسد مسد الحاجة اليها . كما قال سيبويه في الكتاب لا تقول (العرب) في قال يقيل « ما أقيله » استغناء عنه بنحو « ما أكثر قائلته » كما قالوا تركت ولم يقولوا ودعت

والذي نرى ان ابطال القياس في مثل المسألة الاولى - أعني باب المغالبة - بعلة انه مستغنى عنه بصيغة أخرى غير سديد وانما المدار على قلة ما ورد منه وكثرته . فاذا كانت الشواهد المروية منه بحيث بلغت ما يكفي للاعتداد به في وضع القواعد صح جعله قياسا مطردا . وليس غنى اللغة بما تملكه من صيغة أو صيغ تفيد معنى خاصا بمانع من ان يضم اليها طريق آخر يزيدها سعة على سعتها . فترادف المفردات والصيغ على غرض واحد في اللغة ليس بعزيز

وأما المسألة الثانية أعني الاستغناء عن قولك « ما أقيله » بمثل ما « أكثر قائلته » فهي راجعة الى الكشف عن وجه اهمال العرب للصيغة الاولى ، وقد تعرضنا فيما سلف الى حكم اللفظ الذي تتناوله قاعدة ولم نسم في كلام العرب ما يدل على انهم نطقوا به على وفقها ، وذكرنا الفرق بين مايدور في محاوراتهم بكثرة فنقتفي فيه أثرهم ولا نخرج في تصريفه عن الوجه المنقول عنهم وبين ما لايكون كثيرا شائعا فيسوغ لنا ان نصرفه وننطق به على ما تقتضيه القواعد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دون توقف على سماع . وكأن الامثلة التي ذكر سيبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص أن العرب استغنت عن تصريفها بصيغ أخرى ، وجعلوا التلفظ بها على طبق القاعدة خطأ ، كانت في نظرهما من القسم الاول وهو مالا تتجاوز فيه حد الرواية ، والوقوف في الالفاظ الدائرة في المخاطبات بكثرة عند وجهها المسموع وعدم اجرائها في سبيل القاعدة لا يعد في غرائب اللغة العربية . فان في غيرها من اللغات الاخرى كاللسان الالماني مصادر تتصرف على وجوه تخالف القواعد المعروفة ، ويصرح علماؤهم بوجوب التلفظ بها على تلك الوجوه الشاذة ويعدون المتكلم بها على نمط القاعدة قد تعدى حد اللغة وارتكب خطأ فاحشا ، بل ترى من أسماء التفضيل المتداولة في ذلك اللسان ما شذ عن القاعدة الى ان ركبوه من حروف غير حروف الوصف الاصلي ، على نسق مايقول علماء لغتنا ان الخلد ـ وهو الفار الاعمى ـ يجمع على مناجد أو مناجذ

وتصرف العرب في بعض أسماء الاجناس فاشتقوا منها افعالا وأوصافا فقالوا تقمص وتجورب وتحجر واستنسر البغاث واستنوق الجمل . وقالوا أحنك الشاتين أو البعيرين وفلان آبل الناس أي أشدهم تأنقا في رعي الابل . وقد رأى علماء العربية ان الامثلة الواردة في هذا الغرض لاتكفي لفتح باب القياس فوقفوا فيه عند حد السماع . وكثيرا ما ينكرون على من ينتزع فعلا من غير مصدر كما اعترضوا على القطب الرازي في قوله « والشيخ في الشفاء ثلث القسمة » بدعوى ان لفظ « ثلث » محدث لم ينطق به العرب . ولم يلتفتوا الى قياسه على ما صح لغة من قولهم خمس وسبع وأمثالهما ، حتى استشهد له السيلكوتي بحديث « شر الناس المثلث » يعني الساعي بأخيه ، يملك نفسه وأخاه وامامه . ولم أر من حام على القول بجعل مثل هذا مقيسا الا عبد اللطيف البغدادي فانه اعترف في كتاب التكملة بأن لفظ التجنيس والمجانسة مولد وأجازه على وجه القياس وقال هو من لفظ الجنس كالتنويع المأخوذ من لفظ النوع .

واطلاق التصرف بمثل هذا للافراد فيصنع كل على انفراده من أسماء الاجناس وأشباهها ما يبدو له من أفعال وأوصاف يفضي الى القاء الجمل مركبة من الفاظ لا يألفها الخاصيون أو يتعاصى عليهم فهم ما يقصد منها . واللغات الاجنبية يجري فيها الاشتقاق من أسماء الاجناس أحيانا ولكن الذي يقوم بذلك جمعيات علمية تصوغ الكلمة تضعها في ديوانها اللغوي وتنشرها بين الناس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القياس في وضع اسماء الاجناس

يقول ابن فارس في طالعة تاليفه المسمى بالصاحبي ان اللغة قد قر قرارها فلا نعلم لغة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم حدثت ، فان تعمل اليوم لذلك متعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم وقد كان للصحابة من النظر في العلوم الشريفة مالا خفاء به وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تتقدمهم. وقال في مبحث آخر من ذلك الكتاب ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ماقالوه ولا ان نقيس قياسا لم يقيسوه لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها . اغلق ابن فارس الباب في وجه من يريد احداث كلمة وادخالها في سلك اللغة ولكنه يبيح لاصحاب العلوم والفنون الاصطلاح على كلمات ينقلونها من معانيها اللغوية ويضعونها بازاء معان خاصة، بيد انه يفرق بين الوضع العربي والوضع العلمي فيسمي الاول اسما لغويا والثاني اسما صناعيا

والحق ان اللغة في حاجة الى ان يبقى الطريق الى وضع اسماء الاجناس مفتوحا مثلما بقي طريق وضع الاعلام الشخصية يسلكه الناس فيما يزداد لهم من الولد أو يحدثونه من الضيعات والقرى . فان الاعصر مابرحت تكشف لنا من معان لم تظهر ايام كانت اللغة تتسع وتنمي بالالفاظ التي تجري على السنة الناطقين بها عن سليقة المتلقين لها من افواه المرضعات ورعاء الشاء . وليس من الممكن ان نصرف السنتنا عن التعبير عن هذه المعاني بعد ان اندمجت في متاع البيت والتصقت بما يتخذه الناس من الملابس ويمتطونه من المراكب ويرتفقون به من وسائل الحياة

ومما يشوه وجه المقالة أو القصيدة ان نضع في نسقها اسماء هذه المعاني الموضوعة في قالب لغة اجنبية ونتلفظ بها على علاتها من غير تهذيب وسبك يؤلف بينها وبين ماهو عربي اصيل

فالعربية توسع صدرها لافتراض الاسم من لسان آخر ولكن بعد تنقيحه وصبه في قالب يطابق موضوعاتها الاصلية ، وهي مع ذلك في سعة وغنى بما ملكته من المواد الغزيرة والتصاريف التي تساعد على ان نستمد منها اسماء لاي معنى خرج الى حيز الوجود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وانما يستقيم هذا العمل اذا نهضت له جماعة ذات اطلاع واسع واذواق سليمة فيتخيرون أو يبتدعون المعاني الحديثة اسماء مقبولة فيبقون على هذا اللسان حياته ويحفظونه من ان يتسم فرق فاقته فتتسرب اليه قطع من لغة اخرى

انتباه الشرق (١)

الترك وجيش سهم المستعمرين . سورية وفلسطين . اليمن وعمان . الافاضول ومعاهدة سيفر . ازربيجان والافغان . شمال الرقمية

لاجرم ان الشرق قد بدأ ينتبه من غفلته ويثوب من رقدته ، ويهب من ثباته العميق ويستفيق من كابوسه الثقيل ، وان ذلك قد لاحت تباشيره منذ وضعت الحرب أوزارها ، وظهرت مخايله في كل صقع من أصقاع الشرق بصورة لا تقبل المغالطة ، ولا تحتمل المراء ، بحيث شعرت أوربا شعورا تاما بأن شرق اليوم هو غير شرق الامس ، وان الحرب العامة قد تمخضت بحوادث لم تكن في حسبانها ، وربما تلد انقلابات كان يجوز ان يستأنف كل فصالها القرون والاحقاب فمجات الحرب في توليدها بضع سنين فكان الظفر الذي ظن الغالبون انه سيلقى اليهم بمقاليد الارض بحذافيرها ويؤمنهم على تراثها بدون معارض ولا منازع ، هو مبدأ انحلال سلطانهم المنفقة من قوى الامم الاخرى وفاتحة انتثار املاكهم المنظومة بمجاهيد المستضعفين في الارض ، ومصداق قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ولا بد أن يأتي يوم يقول فيه الشرقيون — طالما أحزنتنا نهاية الحرب العامة بما انتهت به وخلو الجو للدولة المستعمرة تاتي بجرائمها على من تشاء وتهضم حق من تشاء وتظن الاحرار قد أصبحوا لها خولا وعبيدا ، ولكن صدق علينا وعليهم قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

فقد ظن المستعمرون قبل كل شيء انهم يخدعون الامة العربية بمواعيد الاستقلال حتى تنفصل عن الامة التركية ويقع بأس احداهما بالاخرى مما يوفر على المستعمرين الاموال والرجال ، حتى اذا انفصل العرب عن الترك بعد ذلك وجدوا أنفسهم بين براثن أولئك الخلابين الخداعين وأطبق هؤلاء عليهم فوا

(١) نقلا من بريدة « بقظة العرب » الامريكية تاريخ ٢٣ و ٣٠ نمرز سنة ١٩٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طبقا بعد طبق يقتسمون بلادهم فيما بينهم تقاسم لايسار للجزور وينقضي الامر وينتهي النزاع ، واذا تنجز العرب ما تقدم لهم من المواعيد لم يع من صنعته الخلابة ومهنته الكذب والرياء ان يجاوب أولا بالالفاظ التي قد جاوب بها من قبيل :استقلال وتحرير، وترقية، وتنمية، وسيطرة وقتية، ووصاية أبوية، وارشاد الى وقت بلوغ الاشد. وغير ذلك من الخزعبلات التي لا يخجل أمثالهم من ان يجعلوها شباكا للصيد وخطاطيف للقبض فان لم تنفع هذه الالفاظ ولم تنجح هذه العناوين الضخمة في اخفاء المرام وتهوين المصاب فيكون الجواب صرحه برمحه بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة وغير ذلك من الآلات المهلكة والنيران المحرقة ويقال ان ذلك انما هو موت لاجل الحياة وقطع للاعضاء الفاسدة لسلامة الجسد وتخريب من أجل المدنية وهمجية لاجل الانسانية(!!)

ولكن ساء في هذه النوبة فألهم وكذب خالهم ورأوا من العرب مالم يكن يخطر لهم على بال اذ وجدوا هذه الامة بعد انفصالها عن الامة التركية أشد نفورا من حكومة الاجنبي مما كانت من قبل، وما وضعت الحرب العامة أوزارها من جهة وظن الحلفاء الغالبون ان البلاد قد بردت لهم عفوا صفوا حتى لفحت الحروب في الشرق الادنى والاوسط من الجهة الاخرى وقام العرب ينادون بالثارات ممن نكثوا بالوعود وخفروا العهود وتورطت انكلترا في العراق في حرب زبون لم يعدلها نهاية فبقيت سنتين ونصف سنة توالي البموت على البموت وتلف الزخوف على الزخوف وتكور الطيارات على الدبابات والدبابات على الطيارات وتحرق القرى وتنسف المنازل وتهلك الحرث والنسل وبلغ عدد جنودها في العراق ١٢٠ الف مقاتل وبلغت نفقاتها السنوية هناك ٥٠ مليون ليرة انكليزية وهي لا تفوز بطائل ولا تصل الى غاية تذكر ولا تزداد من اهل تلك البلاد الا بغضا وعدوانا وسخيمة وشنآنا الى ان يئست من تدويخ العراق بالسيف وبعد ان كانت لا تنير مطالب اهل العراق ادنى بال وكانوا يشكون اليها فيشكون الى غير مصمت (١) عادت هي تستصرخ الملك فيصل وذويه الى حمل العراق على قبول حكومة وطنية يكون لهم فيها الاستقلال الداخلي ويكون لانكلترة النيابة الخارجية وعادوا هم لا يرضون بهذه الدرجة من الاستقلال ويريدونه تاما وينتجزونه باتا مطلقا ولا يرضخون للانكليز الا من بعض مسائل

(١) أي الذي لا يسمع الشكوى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اقتصادية لا غير مع ان العراق قبل الحرب العامة لم يكن بحسب احد انه ينطوي على مثل هذه القوة ولا أنه يقتضي لتدويخه اكثر من تواير معدودات، ولكن الحرب العامة أضاعت كل حساب وأتت من ظهر الغيب بما كان يظن من الاحلام : ومثل ذلك سورية التي كانت تظن فرنسا انها تقبض عليها بمجرد خفوق العلم الفرنسوي على ثكنة بيروت قد كلفت فرنسا الى الآن ازيد من ١٠٠ مليون ليرة وعشرات الوف من العساكر ولم تكسب من وراء ذلك سوى زيادة الاحقاد والاحن والقاح العداوات والفتن وكون من كان يناوبها قبل الاحتلال قد ازداد برأيه يقيناً وبمذهبه استبصارا ومن كان يميل اليها قبل ان خبرها من قريب وقارفها تحت العمل قد تحول عنها تحولا فات فيه اعداءها الاصليين واتفقت كلمة الجميع على طلب الاستقلال التام ولو كان كل يسعى به الى ناحية وطنه، فاللبناني ينادي باستقلال لبنان والسوري ينادي باستقلال سورية، وللفلسطيني ينادي باستقلال فلسطين، وليس من كل هؤلاء من يرضى بسيطرة فعلية لفرنسا أو لانكلترا أو لغيرهما بل غاية ما هناك عدة مأمورين من باعة الذمم وتجار الضمائر وعدة صحف من قبيل الربابات المعروفة عند البدو أو زمور الاعراس يعزف عليها العازفة لمن شاء ولمن بيض البخت على رأي اصحاب هذه الآلات. فهؤلاء لا يزالون يتشدقون بلفظة « انتداب » ويتمنطقون بكلمة « ارشاد » وعبارات مموهة وجمل مزخرفة من قبيل « الاخذ باليد في مشترك الحياة » ومن طائفة « تمديد الخطوات الى السير في طريق التقدم » وما اشبه ذلك من الكلمات الفارغة المخالفة للواقع وتشدقهم يدوم مادامت يد فرنسة في حلوقهم وما دام سيفها مسلولا أمام أعينهم فأما ولا بد لفرنسا وقد بلغ دينها ٣٨٨ مليارا أي أربى على مجموع ثروتها العمومية بكثير (لان مجموع ماتملكه فرنسة لا يزيد على ٢٨٠ مليارا) من ان تعجز عن متابعة بذل المبالغ الطائلة على جيش احتلال سورية كما عجزت عن متابعة غزو كليكية فبمجرد تقلص الظل العسكري من هناك تحس فرنسا بخيانة هؤلاء الذين اذا كانوا خونة لاوطانهم فهم اولى بأن يخونوها هي وان لا يصدقوها القول ولا ينخلوا لها النصيحة وان يقلبوا لها ظهر المجن عند اول غرة لائحة . وسواء كان مثل هؤلاء معها أو عليها فلن يقدروا ان يؤثروا شيئا في تحويل مجري الاحوال العامة اذ لا بد لاهل سورية من نيل استقلالهم التام الناجز المحقق بالفعل الحالي عن المماطلة المرتقب من المغالطة ولا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بد لها من الرجوع في امر سورية لا الى رأي (السوسياليث) فقط بل الى رأي كثير من الحزب المعتدل بل الى رأي المسيو بوانكاره نفسه وهو القيام في سورية بمهمة استشارية محضة بل كيف تقلبت الامور فالعرب لن يتركوا سورية لفرنسة ولا بد من ان يأتي اليوم الذي ترجع فيه فرنسة الى طريقة انكلترة في العراق بل الى اقل منها على حين يكون ما تركته من الحقد في قلوب العرب حائلا دون كل امتزاج مانعا من كل مودة بين الفريقين

وأما فلسطين وما أدراك ما فلسطين فان انكلترة قد ظنت مجرد اعلان معاهدة الصلح ووصايات عصبة الامم والامر الملكي الصادر لاهل فلسطين بتقرير هذه البلاد وطنا قوميا لليهود وفقا لتصريحات بلفور في أواخر أيام الحرب ظنت كل هذا كافيا للفت في اعضاد الفلسطينيين والقل من غروب مرائهم بحيث يستنيمون الى الطاعة ويخلدون الى السكون على قلة عددهم ونقصان شرائط انتقاضهم فرأت من هذه الجهة أيضا لها باسرا وحملت من حماية اليهود أمرا ادا وسوف تعلم هي ويعلم اليهود انهم يحاولون قلع الجبال ولا يحصلون على أدنى طائل ، وان الفلسطينيين كالسوريين وكالعراقيين وكالمصريين من قبل لن يفتأوا ناصبين للانكليز المداوة حتى يقلعوا عن سياسة الاتجار بالامم ويفهموا خطر اللعب بالعهود والمواثيق ويعرفوا ان الامة العربية هي كلها من وراء الفلسطينيين لا تدع بلادهم مجالا للاطماع ولسان حالها يقول : « ودون عدواتي كلا جداع »

انظر الى اليمانيين الذين خالت انكلترا ان الاحاطة ببحرهم وقطع الاتصال بينهم وبين الدولة العثمانية مدة سنين يكون كفيلا بنزولهم على حكم الانكليز وصرم حبال آمالهم في الدولة والخلافة فكان الامر على عكس ما ظنت . وبعد ان كان اليمانيون تحتاج الدولة الى بسط سيادتها عليهم الى أربعين أو خمسين طابورا بصورة دائمة انقلبوا بأسرهم عثمانيين بدون عساكر بين أظهرهم وقاموا هم مقام العساكر وشدوا روابط تابعيتهم للدولة والخليفة عن ذي قبل ورفضوا ان يسمعوا بشيء من جميع هذه المعاهدات التي تعقد في باريز ولندرة ولم يكتفوا بالمرابطة في منطقة عدن ومنع الانكليز عن الخطو الى الامام قدما واحدا حتى حصروهم في مرسى الحديدة الذي كانوا احتلوه بل اضطروهم الى الجلاء من الحديدة بما اجهضوهم طول هذه الاشهر بالقتال غدوا ورواحا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت انكلترة راسلت حضرة الامام يحيى مرارا وعرضت عليه « الاستقلال » الذي أعلقت بأحاييل وعده كثيراً من أمراء العرب فلم يفتر كفيره ، وأجابها بانه لا يبرح عثمانيا هو وقومه وجميع أهل اليمن من تهامتها الى نجودها ومن حضرموتها الى عسيرها . ولن يقبل ان يطأ الانكليز شبراً واحداً من أرض اليمن ولا ان يتدخلوا بين أهل اليمن وبين الخليفة العثماني الذي لا يعرفون سواه ، ولما كان قد عجم الانكليز عود الامام يحيى ورأوا من صلابته حذروا من التصريح بشيء في أمر اليمن في معاهدة سفرس خشية سرعة التكذيب وازدياد الخطب ، ولكن حضرة الامام خاطب السلطان محمد وحيد الدين الى الاستانة وأكد له استمساكه بعروة خلافته وبقاء جميع اليمانيين من شافعية وزيدية في حوزة طاعته وقريبا نطلع القراء على صورة كتاب حديث العهد قد ساعدنا الحظ بالاطلاع عليه صادر عن الامام المتوكل على الله يحيى حميد الدين وكتاب آخر من محمود نديم بك الوالي العثماني الذي كان في اليمن ولا يزال والياً فيها باسم الدولة العثمانية صادراً هذا الكتاب عن محلته في مناخة منبئا بزحفه على باجل والحديدة بناء على طلب سادات واشراف تهامة (١) مما جاءت فيما بعد تلغرافات الجرائد الانكليزية مؤيدة له بل رواية عن حوادث تلك النواحي . مازاد على ماجاء في الكتاب المذكور

وانظروا الى العثمانيين الذين ظن الانكليز انهم يحملون أمير مسقط على تجريدهم من سلاحهم فكان منهم انهم خلعوا ذلك الامير وحصروه في مسقط وما زالوا في الثورة حتى أقلعت انكلترة عن مزاعمها هذه وتركوا لهم سلاحهم وعاشوا طول أيام الحرب أحراراً لم تقدر انكلترة ان تتعرض لهم بأدني سوء ولا يزالون على استقلالهم التام بحماية صيوفهم

اما مصر فاننا سنفرد لثورتها ونهضتها مقالا مخصوصاً ، ولكن نقول هنا بالجملة انها نالت ثمانين في المائة من مطالبها . هذا من جهة العرب واما من جهة الترك فكانت فرنسة تظن انها تبتزهم ولاية اطنة الحسينة وانهم بتتابع حروبهم ومحنهم لاسيما هذه السنوات الاخيرات يكونون قد بلغوا حد الاشياء ولم يبق عندهم رمق يقوم بهم الى الدفاع فكانت نتيجة احتلال فرنسة لكيليكية خسارتها مائة مليون ليرة ونحو عشرين الف جندي والخروج منها

(١) تهامة ساحل اليمن .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض شروط اقتصادية كانت تقدر على نيلها بدون سفك دم ولا هتك ستر ، ولكنها استلمت قوماً ظنتهم صاروا ألين من حمل النعام فاذا بهم لم يزالوا افذ من ريش القنفذ وعلمت انهم لن ينفكوا عن القتال عن ديارهم مهما درجت الايام وكرت الليالي فعدلت معهم عن المخاشنة الى المحاسنة وأخذ الجنرال غورو ينوه بمحامد الترك وحسن عهدهم ومحافظتهم على أصول الحرب وانه لولاهم لكان الآن من الغابرين لانه لما جرح وطاحت يده في احدى وقائع الدردنيل نقل الى سفينة استشفائية رافعة علم (الصليب الاحمر) فلم كون الالمان لم يتوقفوا في الحرب عن ضرب مستشفيات كهذه (اظن اكثر المتحاربين لم يراعوا قواعد الانسانية في هذه الحرب لا الالمان وحدهم) امسك الاتراك عن ضرب تلك السفينة التي كان فيها غورو مع قدرتهم على اغراقها

نعم صرح الجنرال غورو بهذه الشهادة في مجلس الشيوخ في اخريات هذه الاوبة عند ماتقرر اخلاء كليكية ولكنه نسيها طول تلك المدة التي كان يذبح فيها اتراك اطنه ومرعش وعينتاب في مجبوحة اوطانهم املا بالاستيلاء على تلك الولاية . فاما قصة الامساك عن ضرب البارجة التي نقل اليها عند جرحه في الدردنيل فقد سألت عنها منذ ايام قلائل وهيب باشا الذي كان قائد الجيش العثماني في شطر الاناضول من (شناق قلعة) والذي كان هجوم الفرنسيس من جهته فقال لي هكذا : ان الجنرال غورو لم ينقل الى بارجة من بوارج المستشفيات كلا ! بل نقل الى بارجة رفعت علم الصليب الاحمر زورا وهذا مخالف لقوانين الحرب وعلى ذلك كان صدر الامر من الجنرال ليمان فون سندرس باشا قائد القوة العثمانية في الدردنيل بالضرب على هذه البارجة الحربية التي تحولت بغتة الى مستشفى فابيت انا انفاذ هذا الامر قائلا : يكفي انهم التجأوا الى الصليب الاحمر فنحن نكف عنهم حرمة له . آثرنا استقصاء هذه القصة لما فيها من الدلالة على مكارم اخلاق الشرقيين وعلى كون الغربيين قد يقرون بها عند ما تقضي عليهم بذلك السياسة ويغمطونها عند ما يرون انفسهم في غنى عنها

ثم ان الانكليز رتبوا على تركية معاهدة سيفر ولم يدر في خلدهم ان هناك امة تنهض من العدم الى الوجود في وجه الدول الغالبة في ابان عزها وعنجهية ظفرها وتقول لهم بلسان حالها انكم حيث نسيتم مواعيدكم باستقلال الشعوب كل في دائرة سواده الاعظم وظهرتم قبل الظفر بمظهر وبعد الظفر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمظهر آخر واحتقرتم بهذا التقلب انفسكم فاسمحوا لنا نحن أيضا بان نحتقركم وبان لا نخضع لمقررات مؤتمركم وبان نعامل مركزكم المادي الناهض كما نعامل مركزكم الادبي الساقط وان كنتم معتمدين على ضعفنا وتجريدنا من سلاحنا واحتلال عاصمتنا وحصر سواحلنا ووضع اليد على تجارتنا فاعلموا ان لضعفنا حداً وان لعجزنا امدا وان لنا سلاحا من عزائمنا وبرد يقيننا وجلاء حقوقنا ومنفعة مواقعنا وسعة اراضينا ووعورة مسالكنا وقلة احتياجاتنا ومن صبرنا على البلاء وبياتنا على اللاواء وان لنا من جميع الشعوب الشرقية عضداً ومن العالم الاسلامي ردءاً ومن طبقات العملة والاشتراكيين في جميع الدنيا حامياً ونصيرا ومن لنين وحزبه مؤنسا وسميرا بهذا كانت تتناجى ضمائر الاتراك وتتراسل جوانح صدورهم بعد ان علموا سوء نية الحلفاء وعملهم على الغدر بهم فقبحهم الله لهم من مصطفى كمال من جسم هذه الافكار افعالا وألبس هاتيك الخوالج من العمل رداء فما شعروا الا وفي الاناضول شعب يقول لبريطانيا العظمى قفي فلن تكون ارادتك هي الاقدار الالهية ولن تبلغي السماء طولا واننا لقوم نريد ان نعيش كما يعيش غيرنا وان هذا الصلح الذي تحملوننا عليه هو محو لوجودنا ولسنا له بمقرنين وليس الحرب بأشد خطراً علينا منه ولا الموت الذي تهددوننا به أمر في افواهنا من الصلح الذي تعدوننا به لا فرق بين الموت الاحمر والابيض فكان جواب لويد جورج بما معناه ان معاهدة سيفر هذه آيات منزلات من السماء لن تقبل تحويلا ولا تعديلا ومنع الوفد التركي من الكلام وسد على لهواتهم في الخصام اولا وثانيا ورماهم بالجيش اليوناني تعضده الجنود الانكليزيه ودوارع بريطانية العظمى وفتح لليونان خزائن انكلترة لميرة جيوشهم وأعتادها وأباحهم من ولاية ازمير في آسيا وولاية ادرنه في اوربة ماشاءوا بشرط ان ينعشوا له الاتراك ويأخذوهم اخذ عزيز مقتدر وبحت اصوات الهنود المجوس فضلا عن المسلمين في مطالبة انكلترة بانصاف تركية وتتابعت ثوراتهم فكانوا كانما يزيدون نار انكلترة على الترك اجيجا وكل هذا لاسترسال لويد جورج الى كلام فنزيلوس بانه يسحق قوة مصطفى كمال في ١٥ يوماً فمضت سنة وشهر واليونان يهاجمون والاتراك يدافعون وقوة حكومة انقرة هي الى الامام لا الى الوراء وجيش مصطفى كمال وان أعوزه كثير مما توفر عند غيره فقد عز بعد ذلة وعمم بعد قلة وجاءته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اعتاد من هنا ومن هناك واثبت انه قوة لا يستهان بها وان الترك يحاربون في الاناضول سنين طوالا تنفتح اثناءها على انكلترة فتن مسقطة الآجال ومحز نزلزل الجبال فعاد لويد جورج الى النظر في معاهدة سيفر وجوز التنقيح منها بعد ان كانت عنده آية لا تنسخ وعقداً لا يفسخ ولما رأت فرنسة وايطالية ما رأتا من ثبات الاتراك وصعوبة مراسهم وكانتا تعلمان ان تبسط اليونان في الاناضول لا ينفعهما في شيء وانما اليونان اصبحوا شرطة وجلاوزة (١) للانكليز على ابواب الدردنيل

وكانت ايطالية خاصة وقفت منذ نهاية الحرب وقفة المنصف المعتدل البصير بالعواقب في جانب العالم الاسلامي كله نصحتا انكلترة بالعدول عن هذا العناد والرجوع الى مبادئ تخيير الامم في تعيين مصيرها فرضي لويد جورج بقبول مندوبي انقرة في جنب مندوبي الاستانة مع انه كان يمنعهم من قبل بالعصاة ويعلن بانه يستحيل بان يجلس في مؤتمر الى عصابة اشقياء فأجلسه مصطفى كمال بسيفه الى جانب « اشقيائه » واضطره الى تعديل كثير من شروطه ولكنه لما وصل الى مسألة تركية عاد لويد جورج الى عناده وابى بقاعدة تصويت الاهالي وقال هذه معاهدة تعتبر جوهراً فرداً فاما ان تقبل بزرها وعروتها واما ان ترفض بزرها وعروتها ولم يلبث ان رأى الحلف مع اليونان فيما كان اسلف من المواعيد نجاحاً للكبرياء البريطاني فعاد يسير غور قسطنطين سراً عما اذا كان يقدر على استئناف الهجوم ليكون السيف هو الحاسم فيما بقي تحت النزاع فاجابه قسطنطين بان الامة اليونانية ناهضة الى الحرب نهوضا نجيحا كافلة اخماد جمرة الاناضول بشرط ان تمدها انكلترة بالاموال اللازمة وهكذا قر بينهما القرار وزحفت جيوش اليونان بقضها وقضيضها وجاءت بالشوك والشجر واحتلت افيون قره حصار وتباشرت ببلوغ الاوطار وتسحب الاتراك الى الوراء لا يريدون ان يصلوهم القتال الا على مقربة من قواعد حركاتهم فظن الاروام ذلك خورا وعجزا ودلفوا الى الترك طامعين في الغلبة واحتلال اسكي شهر فكانت هناك الواقعة الكبرى التي اسفرت بعد حرب استمرت اسبوعا عن هزيمة اليونان الشنعاء ووقوع فرقة تامة منهم في الاسر وامتلاء البطاح باشلاء قتلاهم وتلالا جرحاهم وسقط أخو الملك قسطنطين (٢) وبعض القواد الكبار

(١) الجلواز الشرطي والجمع جلاوزة (٢) لم يتحقق سقوط اخو الملك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في جملة القتلى وعاد اليونان يستصرخون دول الحلفاء ويستمدونهم على الترك وليس في دول الحلفاء الآن من تقدر على اصراخ اليونان فايطاليا تفرح بفشل اليونان فرح الترك أنفسهم وفرنسا لو كانت قادرة على الامداد لما اخلت كيليكيا وهي اليوم في شغل آخر من جهة المغرب وانكلترة لو لم يعمها الاعياء لما طابت نفسها باخلاء العراق ولا تركت القوقاز ولا تحفزت لاخلاء فارس فكيف تقدر ان تبقي خزانتها مفتوحة لحكومة أثينا ودوارعها مرصدة لحماية الاروام

ولو نظرنا الى جمهوريات اذربيجان وكرجستان والطاغستان وقازان وطاشقند والباشكرد وامارتي بخارى وخيوة وكيف هبت كل من هذه الحكومات الى ترتيب أمورها وتأثيل استقلالها بعد ان كان الروس أودوا بقوميتها واحنوا على عصبيتها لرأيت الشرق قد ركب جناحي نعامة في طلب استقلاله واستئناف مجده ونفض غبار الذل عن أقوامه وهاهي فارس التي كان الروس والانكليز قد تقاسموها خطتين وتشطروها منطقتين ولم تجسر ان تقف في وجه واحدة من هاتين الامتين هبت اليوم تستنجز انكلترة الرحيل التام عن أرضها وأعلنت الغاء المعاهدة التي كانت قيدتها بولائها كما انها نجحت بمفاوضاتها مع الروسية السوفيتية بانها نالت منها الاعتراف التام باستقلال ايران ونزول الروس عن كل ما كان لهم هناك من مرافق ومنافع ودبوت ومصارف الى الحكومة الفارسية

واما مملكة افغانستان التي هابت الثهور في الحرب العامة مع جميع ضلعها الى تركية فلم تقدر ان تجيب داعيها الى الحرب وشن الغارة على الهند لم تخمد نيران الحرب العامة حتى جدت بها نهضة لم تكن من قبل فعبت جيوشها واخترقت ثغور الهند ونهضت معها قبائل شمالي الهند المشهورة ببأسها ونجدتها كالوزيري والمسعودي وغيرهما فحشدت انكلترة لمصادمة هذه نحو ٣٠٠ الف مقاتل وهي منذ سنتين ونصف سنة لا تقدر ان تخلي شمالي الهند من الجيوش الجرارة المرابطة ولكن القبائل لا يمهلونها شهرا حتى يناوشوها شهرا فاما أمير الافغان فقد رضي بمعاهدة الانكليز على شروط منها الاعتراف للافغان بالاستقلال التام ليس في الامور الداخلية التي هو منذ الاول مستقل بها بل في الامور الخارجية ايضا فاجابته انكلترة الى ما اراد وصارت له سفارة في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موسكو وعقد مع الروس في هذه الايام الاخيرة معاهدة على قاعدة الولاء المتبادل وامداد السوفيت له بالسلاح والعدة واعادت الروسيا له مقاطعة على حدود تركستان كان يدعيها من القديم وهو اليوم ينظم جيشه على ايدي ضباط عثمانيين والمان ومن جملة من عنده احمد جمال باشا الذي اتصل بخدمته واثناء تحريري هذه الاسطر حضر وفد افغاني الى برلين مؤلف من ثمانية اشخاص يظن ان مقصد بعثته تأسيس علاقات سياسية مع المانيا وتعيين سفير لافغستان لديها والاستعانة بمعارف الالمان والارتفاق بصنائعهم كما ان عند امير افغان معملا للسلاح أسسه منذ سنين جده المرحوم عبد الرحمن خان والامير الحالي امان الله خان ينوي تأسيس عدة معامل في بلاده وترقية المعارف والصناعات بين امته . وقد بلغنا ايضا ان في كل من أمارتي بخارى وخيوه عددا من ضباط الاتراك العثمانيين يرتبون لهم امورهم ويدربون جنودهم

واذا عطفت نظرك الى شمالي افريقية الذي وان كان ممدودا في الجغرافية من المغرب فهو في الصلة والعرف والدين والغرض ممدود من المشرق تجد ان أهالي طرابلس الغرب فازوا باستقلالهم الداخلي وأوجدا لانفسهم حكومة ذات شخصية مستقلة وان اهالي تونس نهضوا بطلب حكومة تمثيلية مهما ماطلت فرنسة فلن تقدر على منع ايجادها وان عند الجزائريين حركة وطنية لم توجد في وقت من الاوقات كما هي بعد الحرب فاما المغرب الاقصى الذي ظن الفرنسيس انه بعد الحرب العامة يستسلم الى بأس فرنسا الظافرة فقد ثار ثورة لم يقم بها اثناء الحرب وايام اشتغال فرنسا بدفع الالمان عن بلادها وعدا المائة الف جندي التي لفرنسا هناك جاء المرشال ليوتي يطلب تقوية الجيوش بتجريد ٨٠ الف جندي آخرين للفراغ من امر المغرب والله غالب على أمره وكل من يتأمل في هذه الحوادث وفيما يجري اليوم في بلاد الهند الواسعة وفيما نالته مصر يعلم ان الامم الشرقية قد نهضت من عثارها وهبت الى الاخذ بثارها وان أمام الشرق مستقبلا عظيما سيزعج الغرب من منامه وينزله عن صهوة غروره فانه ماتم شيء الا بدا نقصه وما طار طير الا وقع وما انبسط جناح الا انقبض ولا يدوم بؤس كما لا يدوم سعد وما زال الدهر يعود كما بدا ويكرر كما أمر (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

(مراسل صحيح)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخمر

فشو الخمر . مؤاخذة العلماء . اضرار الخمر الجسدية . اضرارها العقلية . اضرارها الاجتماعية . اضرارها الاقتصادية . اضرارها الادبية

يكني المسلمون الخمرة « أم الخبائث » وما أجدرها بهذه الكنية ، ومن أسمائها عند العرب « الاثم » قال الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم تفعل بالعقول

وقد حرمها بعض العرب على نفسه قبل الاسلام لغوائلها ومضارها . ومنهم عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) قال : لا أشرب شيئاً يذهب بعقلي ، ويضحك علي من هو أدنى مني .

ثم جاء الإسلام فتدرج في التنفير منها الى تحريمها وفرض الحد على شاربها وقد سألوا النبي (ص) عند تحريمها فاذا تفعل بالخمر ؟ فقال « اهريقوها » فكانت شوارع المدينة كمجاري السيل مما أريق فيها من الخمرة

وما زال العقلاء والفضلاء في بلاد الغرب يشكون من فشوها وانتشار الامراض وقتل الوقت واضاعة المال بسببها حتى سنت الولايات المتحدة الاميركية قانوناً في اول سنة ١٩٢٠ يحرم صنعها والاتجار بها ودفعت بما كان مخزوناً لديها الى خارج بلادها حتى خشيت كندة - وهي أقرب البلاد اليها - من فشو هذه السموم في بلادها فحرمت استيراد الخمور من الخارج الا الى حد محدود فاندلق سيل هذه الطامة الجارف الى اليابان وفشا فيها فشوا فظيعا . وكانت حكومة روسية قبل ذلك منعت شرب نوع من الخمور يسمى « أبسنت » فحرمه غير واحدة من دول الغرب لشدة ضرره

وربما حرمت الخمر فيما بعد في جميع الامم الغربية وناهيك بمجهودات مقاومة المسكرات فيها ، ولكن البلاد التي تعرف بانها اسلامية مثل مصر والشام وتونس والجزائر لم يبد منها أية حركة ولم تتزعج أي انزعاج لهذا الخطب الجلل

فان قلت ان هذه البلاد اسلامية ولكنها ليست بدار اسلام أي ان حكوماتها غير اسلامية بل هي ذات شرائع غير شريعة الاسلام يتدارسها قضاتهم ومحاموهم ويحكمون بها وليس فيها تحريم الخمر فليس لاهلها شيء من الامر . فأقول : (ان صح منك الهوى ارشدت للعمل) لو ان الغيرة على الدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسلامي بقي منها بقية عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوسلوا الى منع هذه الموبقات بكل وسيلة وسلكوا اليه كل طريق

هل سمعت بان أحد الشيوخ طلب تعديل لائحة أو قانون لتقويم الاخلاق؟ ألم يبلغ العلامة فلان أن ابنه الاستاذ فلان سكير؟ ألم يعلم علم الاعلام بان ريبه من أفسد الناس أخلاقاً؟ أولم يشاهدوا من أمامهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم من مفككات روابط الاخوة ومفسدات الاخلاق بسبب الخمر وغيرها من الموبقات مالو ألقي على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وسوء المنقلب

كيف تنسى لرجال الدين في بلدة (اورنبورغ) — فيما اتذكر — ان طلبوا من الوالي الروسي بان يصدر أمراً ادارياً يحتم اقفال الحانات في نهار رمضان — أيام الحكومة القيصرية — فأصدر بذلك امره بعد الاستئذان من العاصمة (بطرسبرج) وان يلقى القبض على من يرى من المسلمين مفطراً في رمضان ويؤتى به الى الامام فان ا تنتهى بوعظه وارشاده والا سجن يوماً أو يومين. كذلك صدر الامر باقفال الحانات أيام عيد رمضان وقتئذ بطلب علماء الدين .

وهذا الشرطي الفرنسي يلقي القبض على المسلم المفطر في رمضان في دمشق ويرسله الى المحكمة لتقتص منه فهل طلب مشايخنا منفردين أو مجتمعين أيعاد حانة أو ماخور مما في جوار المساجد والمعابد تنفيذاً للقانون المصري الذي يحظر ذلك؟ دع عن مطالبتهم الحكومة بسن قوانين جديدة لحفظ الآداب؟ فقد كان يرجى ذلك أو بعضه لو كانوا يعلمون ان مكانتهم الدينية توجب عليهم ذلك من طريق الدين والادب والاقتصاد

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه مالا يرى

للخمر مضار في الافراد والجماعات من صحية وعقلية واقتصادية وأدبية الخ وقد ذمها كل عاقل حتى من كان ولوعا بها وهانحن اولاء نذكر أهم اضرارها:—

اضرار الخمرة الجسدية

(١) منها الخمول والهبوط اللذان يحدث منهما زيادة التنبه في الاعصاب ويبان بالسكر فيتناول شيئاً من الخمر فينهض به من خموله ويرفع من هبوطه الجسدي والعصبي ولسان حاله ينشد قول أبي نواس (وداوني بالتي كانت هي الداء) ولكنه لا يلبث ان يعود فيتولاه الخمول والانحطاط ثانية بحكم رد الفعل

وحكى ان بعض المتفرنجين من الفرنسيين قال من نفسه ان أول كأس شربه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انما كانت ليزيل بها هما عراه وكل ماشربه بعدها كان ليزيل به ما اسأرته الكاس الاولى من الهموم قال المتنبي :

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلك ماشفاكا

وقد سبقه الى ذلك المدمن العربي القائل

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

(٢) ومنها فساد المزاج واعتلال الصحة لانها تحدث أمراضا مهلكة وادواء معضلة (منها) السل الرئوي الذي قيل : ان سبع الوفيات في العالم بسببه وان ستين في المئة من أموات أبناء العشرين من المدمنين ، وكأمراض الكبد والرئتين والكليتين . وقد قال أحد الاطباء : ان تسعة اعشار المصابين بهذا المرض من السكارى والسكر هو السبب في مرضهم (ومنها) أمراض النخاع الشوكي والعضلات الدموية مما يتسبب منه الرثية (الروماتيزم) وتصلب الشرايين (ومنها) فقر الدم (ومنها) تلبك المعدة لان السكير يكثر أكله ويضعف هضمه (ومنها) تمدد المعدة واسترخاؤها

اضرار الخمر العقلية

(١) من اضرار الخمر العقلية الخمار (بوزن غراب) الذي يدعو الشارب الى المعاودة فالادمان .

(٢) ومنها فساد الاخلاق لاختلال اعتدال القوى النفسية

(٣) ومنها اختلال نظام العقل فالانفلات من كل قيد من قيود الوقار والحكمة. وما أحسن ما أجاب به مجنون دعاه سلطان الذي شرب الخمر ليشربها معه فقال: « انت شربتها لتكون مثلي فأنا أشربها لا كون مثل من »

بل هي جنون . قال ابن الوردي :

واهجر الخمرة ان كنت فتى كيف يسمى في جنون من عقل

(٤) ومنها الذهول العصبي والنوبات الهستيرية

اضرار الخمر الاجتماعية

(١) من اضرار الخمر الاجتماعية ضعف النسل فانقراضه لان مدمني الخمر كثيرا ما يصابون بالعقم ومن يلد منهم فانما يلد نسلا ضعيفا دميما أو أبله معتوها وقد تدل النساء [illegible]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان امراض الامم المتوحشة سيكون بفتك الاشربة الروحية بهم

(٢) ومنها فساد التربية المنزلية لان السكير لا يلتفت الى تربية أولاده واذا وكل أمر تربية الاولاد الى المربين ذهبت مقومات الامة وتقاليدها خصوصاً في بلاد كهذه البلاد التي يقصد بتربية ناشئتها الى تربية خاصة تمسخ الامة مسخا وتجعلها بين بين فلا هي جاهلة ولا هي متعلمة وتحملها اوزاراً من زينة الاوربيين وازيائهم تكون هي الذاهبة بمحصلاتهم ومقوماتهم

(٣) ومنها سد باب النبوغ والاختراع في الصناعات والزراعة اذ ان السكارى لا يشغلهم شاغل عن مواصلة الشرب فان كان السكير من ارباب المصانع فسد نظام مصنعه وان كان من أصحاب الارض اختل نظام زراعتها فاننا نرى كثيراً من أهل الثراء الذين لا يعرف السكير منهم موسم أرضه ولا ماذا أصلح فيها الزراع أو أفسدوا ، ومنهم من لا يعلم من احوال ملكه شيئا او يكل ذلك الى مدير العمل والكاتب والجابي ، وكثيراً ما ترى امثال هؤلاء من غفلة اولئك الذين اصبحوا فقراء لم ينالوا من ثروتهم الا ما تعودوه من السكر الذي يلجئهم الى التسول ومنهم كثير في مصر تعرفهم بسيماهم نرى أمثال هؤلاء وهم على ما وصفنا

(٤) ومنها ايقاع العداوة والبغضاء بين اعضاء الاسرة الواحدة وافراد الامة مما يفكك روابطها ويفت في عضدها ويجعل بأسها بينها شديداً فكم تقاطع الاخوان وتفرق الزوجان وانفرط عقد الاخوان وعق الوالدان واهمل امر الولدان بسبب بنت الحان ؟ ؟

اضرار الخمر الاقتصادية

حقاً ان داء مصر في المسكرات لدوي اذ ان معدل مايشربه المصري يزيد على ضعفي مايشربه الفرنسي وبلاد الفرنسي تنتج له من الخمر مايشربه ويتجر به في الخارج ولكن مصر لا تصدر خمرا خارج حدودها ولا تنتج مايستهلكه اهلها فضرر الخمر الاقتصادي فيها اكثر منه في كل بلد في المعمور لذلك يثرى الخمار في مصر بسرعة ، من اضرارها الاقتصادية

(١) اسراف المدمنين فيها اسرافاً كثيراً ما ذهب بكل ما يملكون وتتسرب اموال الامة الى البلاد الاجنبية بسبب ذلك ولم يقتصر ذلك على الريع والانتاج فحسب ولكنه تعدى الى رقبة الارض فكم من المزارع - والتفاتيش -

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والضياع ـ والعزب ـ والاباعد تحولت الى الخمارين والقوادين من اهل هوان ،

(٢) ان المقدر ان تحريم الخمور في الولايات المتحدة يوفر لاهاليها اربع مئة مليون جنيه في السنة مما كان ينفق في الخمر ووسائلها ، اذاً ماذا يقدر ان يوفر تحريم المسكرات لاهل مصر؟ انه لا يقل عن ٦١ مليون جنيه في السنة اذا قدر ان المصري لا ينفق في سبيل الخمر أكثر من اربع جنيهات في السنة وانا أرجح انه ينفق ثمان جنيهات في هذه السبيل واذا فرض صحة هذا الترجيح فان تحريم الخمر في هذه البلاد يوفر أيضا لاهلها ١٢٢ مليون جنيه في السنة تضاف الى رأس مال الامة

(٢) انقاص رأس المال ، والتمادي في استهلاك رأس المال هو الانتحار الاقتصادي السياسي . وهذه حالة مفزعة ظهر أثرها في مصر ظهوراً بيناً . نعم اذا بحثت في أسباب ذهاب الثروة وانتقال الاموال الثابتة الى الاجانب فلا ترى الا سبباً واحداً هو الخمر وهي رسول الميسر وداعيته ـ اذ فلا ترى سكيراً غير مقامر ـ فظهر مصداق قوله تعالى (فيهما اثم كبير) وأي اثم اكبر من هذا الاثم الذي هو مجلبة خسران الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين

(٣) ومنها استهلاك معظم الانتاج وبعض رأس المال وتسربه الى الخارج البلد وأي انحطاط اقتصادي أدنى من هذا الانحطاط

اضرارها الادبية

(١) من اضرارها الادبية : ذهاب الحشمة والوقار فان السكير لا قيمة له بين أهله وولده وحشمه وجيرانه

(٢) ومنها قتل الوقت في الحانات وتوالي الشراب وذلك مما يذهب بالاحترام الشخصي ويخل بالمكانة الادبية .

(٣) و٤ ـ ذهاب الحياء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة . ولاحياء لمن لا دين له ولا دين لمن لا صلاة له وذكر الله جلاء القلب ونور الروح ومصباح المدلج !

لم أرد بهذه العجالة أن أضيف الى المنار بحثا أهمله فقد أتى المنار على المهلكات ـ ومنها الخمر ـ من أول نشأته وأبعد ما أذكره ما في المجلد رابع في ص ٨٨١ ـ ٨٩٠ وفي ص ٨٩٧ وآخر ٩٠٠ في الجزء الثاني من التفسير

صالح مخلص رضا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شذرات أدبية*

١ — آداب المكاتبة

أو المجاملة والقناعة

كان محمد بن حازم الشاعر جار سعيد بن حميد (١) الكاتب الطوسي فهجاه لامر كان بينهما فبلغ سعيد هجوه فاغضى عنه مع القدرة ثم ان محمداً ساءت حاله فتحول من جواره فبلغ ابن حميد ذلك فبعث اليه عشرة آلاف درهم وخمسين ثياب وفرسا بآلته ومملوكا وجارية وكتب اليه « ذو الادب يحمله ظرفه على نعت الشيء بغير هيئة، وتبعثه قدرته على وصفه بغير حليته ، ولم يكن ما شاع من هجائك في جاريا الا هذا المجرى. وقد بلغني من سوء حالك وشدة خلتك ما لا غضاضة به عليك مع كبر همتك وعظم نفسك، ونحن شركاء فيما ملكنا ومتساوون فيما تحت أيدينا ، وقد بعثت اليك بما جملته وان قل، استفتاحا لما بعده وان جل »

فرد ابن حازم جميعه ولم يقبل منه شيئا وكتب اليه

وفعلت بي فعل المهلب اذ غمر الفرزدق بالندى والدثر
فبعثت بالاموال ترغبني كلا ورب الشفع والوتر
لا أقبل النعماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

٢ — آداب المعاشرة

اني ليهجرني الصديق تجنبا فأريه أن لهجره أسبابا
وأخاف ان عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متغافل يدعو المحال من الامور صوابا

*) جمعها شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

(١) سعيد بن حميد ويكنى ابا عثمان وكان ، يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس له من الكتب انصاف العجم من العرب ويعرف بالتسوية؛ وديوان رسائل وديوان شعر صغير وهو شاعر أديب مترسل عذب الالفاظ مقدم في صناعته جيد السرقة حتى قال بعض الفضلاء : لو قيل لكلام سعيد وشعره ارجع الى أهلك لما بقي منه شيء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو ليته مني السكوت وربما كان السكوت من الجواب جوابا

الناشئ الاصغر (١)

٣ ـ التقسيم العجيب

لمح كوكباً وأبد غمضا والتفت ربما فان عداك اسماؤهما لم تعدك السيما

وجه أغر وجيد زانه جيد وقامه تخجل الخطى تقويما

يامن تجل عن التشبيه صورته أأنت مثلت روح الحسن تجسيما

لو شاهدتك النصارى في معابدها مثلا ربمت فيك الاقانيما

حبوبي (٢)

٤ ـ ومنه في وصف مغن

رنا ظبيا وغنى عندليبا ولاح شقائقا ومشى قضيبا

بعض الشعراء في عصر الثعالبي (٣)

٥ ـ ومنه

بدت قمراً ومالت غصن بان وفاحت عنبراً ورنت غزالا

المتنبي (٤)

٦ ـ ومن الابداع في هذا

وبيض بالحاظ العيون كانما هززن سيوفاً وأستللن خناجرا

تصدين لي يوما بمنعرج اللوى فغادرن قلبي بالتصبر غادرا

سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومسن غصوناً والتفتن جآذرا

وأطلعن في الاجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب خرائرا

الزاهي (٥)

٧ ـ الانحياز الى المدور هداوة

اذا المرء عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خدنا مصافيا

(١) هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف المعروف بالناشئ الاصغر الشاعر المشهور وهو من الشعراء المحسنين له في أهل البيت قصائد كثيرة توفي سنة ٣٦٦

(٢) محمد سعيد حبوبي توفي في القرن الثالث عشر (٣) عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي صاحب اليتيمة توفي سنة ٣٢٩ (٤) احمد بن الحسين المتنبي قتل سنة ٣٥٤ (٥) الزاهي هو علي بن اسحاق بن خلف البغدادي المعروف بالزاهي توفي سنة ٣٥٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا تسألن عما لديه فانه هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

صمصمة بن ناجية

واخذه مسهم فقال

٨ — اذا صافى صديق من تعادى فقد عاداك وانقطع الرجاء

٩ — رثاء بردون

كان لمحمد بن عبد الملك بردون اشهب لم ير مثله فراهة وحسناً فسمى ساع الى المعتصم ووصف له فراهته فبعث المعتصم اليه فأخذه منه فقال ابن عبد الملك يرثيه

كيف العزاء وقد مضى لسبيله عنا فودعنا الاحم الاشهب

ومنها فالآن اذ كملت اداتك كلها ودعا العيون اليك لون معجب

واختير من سر الحدائد خيرها لك خالصاً ومن الحلي الاغرب

وغدوت طنان الحديد كانما في كل عضو منك صنج يضرب

وكأن سرجك اذ علاك غمامة وكأنما تحت الغمامة كوكب

ورأى علي بك الصديق جلالة وغدا العدو وصدره يتلهب

ومنها اضمرت منك اليأس حين رأيتني وقوى حبالي من قواك تقضب

ورجمت حين رجمت منك بحسرة لله ما فعل الاحم الاشهب

١٠ — توافق الخاطرين ، بين الشاعرين

خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقة الى هشام بن عبد الملك الاموي وهو يومئذ بالرصافة، فنزل جرير لقضاء حاجة فجعلت الناقة تلتفت فضربها الفرزدق وقال : —

الام تلتفتين وانت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى ترد الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال : الآن يأتيني جرير فأنشده هذين البيتين فيقول :

تلتفت انها تحت ابن قين الى الكيرين والفأس الكهام

متى ترد الرصافة تخز فيها نكزيك في المواسم كل عام

فجاء جرير والفرزدق يضحك ؛ فقال : مايضحكك يا أبا فراس ؟ فأنشده البيتين الاولين فأنشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله لقد قلت هذا وقال هو ، أما علمت أن شيطاننا واحد ؟ (يتلى)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باب انتقاد المنار

رد جريدة القبلة
على الحقائق الجلية في القضية العربية

نشرنا في الجزء السادس من المنار ذلك المقال المطول في تلخيص حقائق المسألة العربية فكتب احد المتملقين لامراء مكة في جريدة الأهرام يؤاخذنا على نشر ذلك المقال الذي زعزع الثقة ممن اتخذهم هو وأمثاله زعماء للعرب مشايعة للسياسة الانكليزية التي سخرتهم لمساعدتها على تقويض صرح اكبر دولة اسلامية يعتز بها المسلمون في مشارق الارض ومغاربها والثأر لملك الانكليز قلب الاسد ومن كان معه من الصليبيين من المسلمين، وفتح القدس واستعمار سائر بلاد العرب . ولم يستطع هذا الكاتب أن ينقض قضية أو يكذب كلمة من مقالنا وانما كانت مقالته عبارة عن لوم وتثريب، وتهكم وأكاذيب، زعم فيها أن صاحب المنار ادعى انه كان في دمشق ثاني الملك فيصل وان المؤتمر السوري كان آلة بيده... ولو صح أن المقال كان يتضمن هذه الدعوى وأنها دعوى باطلة لما كان ذلك يدافع شيئاً من انكارنا على امراء مكة ما أنكرناه عليهم باسم الشرع والدين والمصلحة العربية

وقد كان من جناية ذلك الكاتب على زعمائه الذين أراد الدفاع عنهم أنه حملنا وحمل غيرنا على كتابة مقالات في المسألة العربية ونشرها في تلك الجريدة اليومية التي يقرأها الوف من الناس لا يقرأون المنار فعرفوا جناية أولئك الامراء على الاسلام والعرب وانه لا يملك أحد من أشياعهم أن ينقض من الحقائق التي أثبتها المنار شيئاً .

ثم اتفق اطلاعنا على العدد ٥١٠ من جريدة القبلة التي تصدرها حكومة الحجاز في مكة المكرمة الذي صدر في ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ فرأينا في صدره مقالة في الرد علينا مكتوبة بذلك القلم المعروف لكل المطلعين على تلك الجريدة بانشائه الغريب فرأيناها كما كتب الينا بعض من اطلع عليها قبلنا ونحن في مدينة (جنيف) من بلاد سويسرة من أوربة اذ قال: «وجدتها بمكان سحيق من السخافة يكفي في الرد عليها نشرها» فرأينا ان ننشرها ونرد عليها وان كان رأي صاحب هذه العبارة صحيحا لان مسألة جريدة القبلة مع ورد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مفتون بكل مايكتبه فينبغي ان نريه قيمة ما كتب بما فيه عبرة وفائدة لقراء المنار » وهذا نصها :

أأعجمي أم عربي ؟!

تحقق لدينا في هذا الاسبوع — احتدام غيظ وغضب وعداوة وبغضاء مولانا . . . ومصباح ظلامنا . . . رشيد رضا — على سيدنا مولانا المنقذ وأنجاله مما رأيناه في عدد (١٣٥٠٠) من « اهرامنا » الاغر من كرته بالتنديد المعلوم الشكل والماهية !

وعليه فلا يسعنا أن نأتي بشيء في الموضوع الا ببيانا بأن الروابط التي يزعمها حضرته تجعلنا نسترحم عواطف مدارك ارشادات كمالاته العفو والصفح . . . ولا نظن أن عظم جريمة . . سيدنا المنقذ وأنجاله في نظره — ينسيه : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » أقله ان العظمة والكبرياء والمدارك والاحاطات التي وصف بها ذاته المعظمة وحصرها في شخصه وتميزه دون سواه بتلك الفضائل . . . والجلائل . . . — تأبى شهامتها المبادأة بأبسط من ذلك التعريض « الذي هو على طرفي نقيض » حتى بالاجانب فضلا عمن تزعم أنك من عنصرهم وهذا لا نشك أنه من نجابة دستور شعور تلك السجايا والمزايا . . .

ومع ذا فلا نظن أن نجابة دستور ذلك الشعور تحظر علينا أن نسائل مولانا (الذي أفهمتنا بياناته المذكورة بكل صراحة أنه أصبح اليوم مرشد الامة الاوحد . . وهاديها الفرد الامجد . . .) أولا : أهو عربي أم أعجمي ؟ . واذا كان الاول فليسائل وثائقه الى الفخيذة التي يريد أن ينتمي اليها . وسؤالنا هذا هو ليتضاعف قدره . . . وتترادف كبرياء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عظمته . . . لدينا ليس الا

ولا بأس أن نشفع طلبنا هذا بقولنا: ان نجابة شعور ذلك الدستور تقضي علينا أيضاً بأن نكتفي من البحث في الموضوع بما أورده أحد قرائنا الافاضل مما ادرجته « القبلة » في عددها الذي قبل العدد الماضي المتضمن الرد على عداء مصباح الظلام ومرشد الانام بقوله:

(يعرض الاستاذ بأمرائنا في شؤون المسألة السورية فنقول له: عساه ان يتأمل مواقفهم وأعمالهم الناتجة باخراجهم « بقدرة الباري » للجنرال ليمان فون سندرس وما ادراك ما سندرس من سورية ويطابقها على نتائج مواقف حضرته التي أدت الى تسليم تلك البلاد للجنرال غورو. ولا يمكن الشيخ رشيد رضا أن ينكر هذا وهو القائل بأنه كان الآمر الناهي في دمشق يولي من يشاء ويعزل من يشاء من الوزراء ويقرب من يشاء ويبعد من يشاء الخ) انتهى

فاذا تأمل رشيد بل وكل متأمل — هاتين النتيجتين اللتين جمعتا فأوعتا القضية من مبدأها الى منتهاها بعد تطبيقها ومقاييسها على ماذكر — تظهر الخلاصة الجوهرية التاريخية التي يريدها الشيخ رشيد بقوله: (الحقائق الجلية في تاريخ القضية العربية): عنوان مقالة تنديده بسادتنا فهل وراء اخراج سادتنا وقادتنا على مرأى من حضرته والعالم لسندرس وألمانيته، وادخال مولانا الاستاذ وهيأته كما ذكر لغورو وافرنسيته — حقائق تاريخية عن سوريتنا وحوادثها، أو عمل يقتضي بحث أي مؤرخ فيها، ربنا لاتضلنا بعد اذ هديتنا

لاندري وأيكم كيف فات على تلك العظمة وكبريائها بأن الكثير حتى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من البسطاء أدرك ما في اظهار تلك العظمة والانانية لهذا العداء والبغضاء ومصارحتها به اثر ما يزعمه المبشرون عن كيفية الاعتداء على صديقنا غورو وجعلهم يحكمون بأن تلك المظاهر بالتعريض والنيل من أشبالنا[1] وسراتنا هو فعل من تلك الفصول وبقلة من تلك الحقول؟ ... فليتأمله!!

أما بحثه عن عداتنا للترك فقد أجاب عنه طليعتنا في عدد (١٢٥٠٤) من اهرامنا بقوله للشيخ رشيد :

(لقد أخطأت في اشارتك على جلالة ملك الحجاز «حسب تصحيحك الاخير» «بعداوة» الاتحاديين التي أدت الى محاربتهم وهذه أدت لمحاربة الاتراك لكون الامة التركية كانت تأتمر بأمر الاتحاديين ولم يكن بالامكان سوى ذلك فهل للسيد الاستاذ ان يبرهن عما اذا كانت العداوة لاتؤدي الى الخصومة والخصومة الى القتال سيما اذا كان ذلك بين عنصرين وفي زمن حرج كالزمن الذي سافر فيه الاستاذ الى الحجاز أثناء الحرب العامة؟ وما حمل جلالة ملك الحجاز لمناوئتهم الا ما كان يسمعه عن ظلم جمال وقتله خيرة أبناء سورية وما كنتم تكتبونه في المنار من التحريض ضد الاتحاديين بعد عودتكم من الاستانة وما كان يذكره في الجرائد العربية طلاب الاصلاح في سورية . فعل ما فعل ولكن الظروف الاخيرة عاكسته وتخلى عنه حلفاؤه بعد ان داسوا حقوق الشعوب الضعيفة ولم يراعوا عهوداً ووعوداً فالقوة القاهرة اليوم لاتمنع امة بأسرها من المطالبة بحقها المشروع والذود عنه يوما ما) انتهى

ومع هذا فلا بأس من ان نشفع ذلك بقولنا أيضا : انه يعز علينا أن

(١) ليتأمل القارئ، كلمة أشبالنا ومن قالها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنانية تلك العظمة والكبرياء تنقض اليوم ما قلته بالامس فان منارنا . . . ومظهر تخارنا . . . كما أنه موجود لدينا – ضروري انه موجود أيضا لدى كثير من قرائه فانه مشتمل على الفارات الشعواء التي شنها مولانا على الترك بما هو معلوم .

ومع ذلك فلابد أن هناك دواعي . . . وأسبابها . . . لهذا التخليط والتخبط والتغليط لا تدركها الا أنانية تلك العظمة والكبرياء ! . . غير اننا والحالة هذه نلتمس احاطة مداركها ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن : أهم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية ؟ والله يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم

ويحسن بنا أن نلفت أنظار المتأملين والمدققين – الى ما نقلته البرقيات الاخيرة وكثير من الصحف عن عزم الكماليين على اخلاء انقرة وانتقالهم الى قيصرية – ليطبقوا هذا النبأ على استعجال الشيخ رشيد بضربه المثل بهم في مباحثه التنديدية بسادتنا في كفاءة الزعامة وقيامهم بشؤونها ولا نظن (ان صح تركهم لانقرة) الا انه لا فرق بين ذلك وبين تسليمك يامولانا لدمشق ، اه كلام جريدة القبلة بنصه الصحيح وعلطتها المعروفة

(المنار)

لو أردنا أن نرد على كل ما في هذه المقالة من الخطأ والخطل الشرعي واللغوي والسياسي لشغلنا قراء المنار زمناً طويلا بمسائل يفضلون جميع مباحث المنار عليها فنكتفي اذاً بما نراه مفيدا من ذلك

عجز سياسي القبلة أو سائسها أن ينقض شيئا من « الحقائق الجلية » التي أثبتناها في مقالنا التاريخي فحصره الانكار والرد علينا بما أورد في مقالته يتضمن الاعتراف بتلك الحقائق كما سبق لنصيره الذي رد علينا في الاهرام ، فما أورده ينحصر في مسألتين مبتكرتين ، ومسألتين منقولتين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اما المسألتان اللتان جادت بهما قريحة سائس القبلة وقلما يصدر مثلهما الا عن ذلك الفكر الغريب ، والدماغ المخالف لسائر أدمغة البشر في التركيب ، فأولاهما وأولاهما بالتقديم ما أشار اليه بعنوان المقالة: أأعجمي ام عربي!

انكار جريدة القبلة لكون صاحب المنار عربيا

شرح سائس القبلة هذا العنوان بما صرح فيه باخراجنا من الامة العربية والحاق نسبنا بالاعاجم والظاهر انه يعني بهم الترك الذين انكرنا عليه عداوته لهم ومحاربتهم اياهم توليا للانكليز ولنا في هذه المسألة ابحاث :

(١) اذا كان يعني ان صاحب المنار تركي الاصل أو غير عربي بدليل ما كان من غيرته على الدولة العثمانية فاكثر مسلمي الارض من عرب وعجم اتراك لانهم يشاركون صاحب المنار في رأيه وشعوره في الامة التركية والدولة العثمانية حتى اهل الحجاز وفي مقدمتهم الشرفاء فقد علمنا بالخبر وخبر الثقات أن أكثرهم قد ساءه الخروج على الترك وسقوط حكومتهم وانهم يفضلونها على حكومتهم الحاضرة ولكنهم لا يستطيعون التصريح بذلك الا لمن يثقون بأنه لا يفشيه لحاكمهم المطلق

(٢) اذا كان من ينتصر لقوم ويدافع عنهم ولو بالحجة والبرهان لا يكون الا من المشاركين لهم في نسبهم فما القول فيمن ينتصر لقوم باللسان، والسيف والسنان، ويحارب أهل دينه ويخرج على سلطانه وخليفته ويتولاهم عليه ؟ أليس هو الاولى بأن يعد منهم ان لم يكن بالنسب فبقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم)

(٣) بعد ان خاطب سائس القبلة صاحب المنار بقوله « تزعم انك من عنصرهم » اي العرب سأله سؤال تعجيز: أهو عربي ام عجمي؟ (قال) « وان كان الاول فليسلسل وثائقه الى الفخيذة التي يريد ان ينتمي اليها » — تأمل قوله يريد ان ينتمي اليها — فيا ليت شعري هل القاعدة عند من يريدون ان يتولوا ملك العرب الا يعتدوا بعربية احد الا اذا جاءهم بوثائق مسلسلة الى الفخذ او الفخيذة التي ينتمون اليها او يريدون الانتماء اليها ؟ أم ذلك خاص بأهل الحضارة من عرب سورية والعراق وامثالهما كمصر والمغرب الادنى والاقصى؟

(٤) ان سائس القبلة يعلم اننا ننتمي الى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويريد ان يطعن في نسبنا طعنا بليغا باخراجنا من الامة العربية باسرها جهلا منه بدينه وبنفسه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » رواه احمد في مسنده ومسلم في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صحيحه. والمراد ان ذلك من اعمال الكفر والجاهلية. ونحن قد ذكرنا لبعض أهل بيوتات مكة ماهو مشهور فيها من ان بعض كبراء أمرائها... قد ثبت بطلان نسبه في المحكمة الشرعية بشهادة الشهود لدى القاضي الشرعي بأن امه - وهي مملوكة بالطريقة المعروفة اليوم وهي غير شرعية غالبا - دخلت بيت ابيه وهي حامل به ووضعته قبل ان يتم لها في داره اقل مدة الحمل الشرعية وحكم القاضي بذلك. فقلنا لكنه يدعي النسب العلوي وحكم الشرع أن الناس مأمورون على أنسابهم وان الطعن في النسب من عمل الجاهلية ونحن لم نطلع على الحكم الشرعي الذي تذكرونه، فأين هذا الأدب الشرعي من جرأة سائس القبلة وعدم مبالاته بالشرع والدين؟

(٥) يقول سائس القبلة متهكما كعادته انه سأل صاحب المنار عن الوثائق المذكورة «ليتضاعف قدره.. وتترادف كبرياء عظمته..» لديه أي بالفخيذة الحقيرة التي يريد الانتماء اليها. وجوابه ان صاحب المنار على كونه شريف النسب وعنده وثائق وجميع اهل قريته (القلمون) ماعدا الدخلاء - وهم قليلون معروفون - شرفاء ونسبهم متواتر في بلادهم يضرب به المثل فيقال: سيد شريف من القلمون - وذكرهم بعض المصنفين وعلى كونه هو أشهرهم في ذلك حتى اذا اطلق لقب «السيد» عند اهل العلم والادب والوجاهة في طرابلس وبيروت ينصرف اليه - لم يفتخر يوما من الايام بنسبه لا قولا ولا كتابة (*) فهو يدع الكبرياء والاعجاب بالنسب لمن حرموا من هداية الشرع وآدابه ومن الفضائل الذاتية فلم يجدوا لهم منخرا يتكبرون به على الناس الا الانتماء الى اولئك الآباء الذين كرمهم الله تعالى بالعلم والهدى لا بمجرد النسب، فأبو لهب أخو حمزة والعباس رضي الله عنهما. وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا

(*) قد يرد علينا ما يحفظه بعض الادباء من قولنا في القصيدة الشرقية التي نظمناها كسائر شعرنا في الحداثة زمن طلب العلم

معلقات فحول الشعر قاصرة ... عنها كمقصورة السهم الدريدي
تطوى قصائدهم طي السجل اذا ... ماساجلت شعر كندي وعبسي
برئت من فصحاء الهاشمية ان ... تنشر ومن لسن النسل الحسيني

والجواب ان هذا نفر بالفصاحة لم يقصد به الفخر بالنسب بل لم يقصد من الفخر الا أسلوبه، على اننا نستغفر الله منه ومن مثله في قصيدة الجاذبية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) وقد روى الترمذي في جامعه وغيره من حديث ابن عمر أن النبي (ص) طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال « الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها بآبائها، الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس ، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب، قال الله تعالى (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا - الى قوله - خبير) والاحاديث في هذا الباب كثيرة

ثم ان صاحب المنار لا يعد شرف النسب سبباً للكبرياء كغيره بل يرى ان للكبرياء سبباً واحداً وهو شعور المتكبر بمهانة يحاول اخفاءها بتكلف اظهار ضده كبيراً، على انه لو كان يفاخر بعلم او نسب لما كان يحفل بأن يكون من العظماء في نظر سائس القبلة بعد أن علم من حاله ومن العظماء في نظره ما علم. الكبر غمط الحق واحتقار الناس كما عرفه سيد البلغاء (ص) وصاحب المنار يحمد الله تعالى ان وفقه للخضوع للحق والاعتراف به ولو على نفسه وقومه وهو يطالب أهل العلم والرأي بمناره في كل سنة ان يبينوا له ما لعله اخطأ فيه الحق ليرجع اليه. ولم يجعل له كمن لا يتجرأ أحد على مراجعته في خطأ ديني ولا سياسي حتى انه حرف بعض آيات القرآن لفظاً ومعنى وكذب على الرسول فيما عزاه اليه من الموضوعات وقد أرشدنا بعض محرري القبلة الى تنبيهه فلم يتجرؤا بعد ان جربوا النصح والتنبيه فأهينوا وهو يحتقر العلم والعلماء ومن فوقه من السادة والامراء

(٦) لو صدق سائس جريدة القبلة ومحاميه الدكتور طليم في زعمهما أن صاحب المنار قد افتخر بأنه كان في دمشق ثاني الملك بكونه رئيس المؤتمر السوري العام الذي كان يمثل الامة وله صفة ما يسميه علماء السياسة بالجمعية التأسيسية لما كان أبعد عن الصواب وأحق بالنقد من جريدة القبلة وسائسها بما نشر فيها من التهور والتبجح بقول التيمس ان البريطانيين حاولوا البحث عن بدل للسلطنة العثمانية البالية فوجدوا أبدالا ذكرت التيمس منهم العرب وفلسطين الجديدة وأرمينية الجديدة . تأمل سائس القبلة هذا القول فخرا للعرب الذين انتحل لنفسه حق تمثيلهم بمثل قوله « فان على مثل هذا فليتنافس المتنافسون، ولمثله فليعمل العاملون » فجعل قول التيمس بالمكانة التي خص بها كتاب الله تعالى بقاءه في دار كرامته بصيغة الحصر فقال مشيراً الى ما دل عليه ماقبله من الخلود في النعيم المقيم والامن الدائم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من المذاب (ان هذا لهو الفوز العظيم ، لمثل هذا فليعمل العاملون) نخالف سائس القبلة كتاب الله تعالى وجعل رضاء الانكليز المستنبط من اشراكهم للعرب أو الحجاز مع اليهود الصهيونيين والارمن في ارث ملك الدولة العثمانية هو الفوز العظيم الذي يجب أن يعمل له العاملون دون سواه كما يعمل المؤمنون المتقون لنيل رضاء الله تعالى والخلود في دار كرامته . ومثل هذا يقال أيضا في تمثله بقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

ويؤيد هذا ماهو أغرب منه في الاخلاص للانكليز وهو ماقاله ملك الحجاز نفسه في كتاب لنائب ملك الانكليز بمصر ونشره مرارا في جريدة القبلة افتخارا وتبجحا به لحسبانه أنه من آيات الله الكبرى وأنه يبرئه مما يرميه به المسلمون وهو أنه بعد أن أدلى باخلاصه واخلاص اولاده « الذين لا تغيرهم الطوارئ والاهواء » لبريطانية العظمى وطالبها بانجاز ما كان طلبه منها لاجل نهوضه بالخروج على دولته وقتالها معها أو تعيين بلد يقيمون فيه ليسافروا في اول فرصة اليه — وبعد أن صرح بانه لا يقبل من مؤتمر الصلح أن يقرر له شيئا من دونها — قال ما نصه « ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فنكن (كذا) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا » اه بنصه

ولم نعهد قبل هذا ان احدا من البشر اختار لنفسه ان يذل ويخزي لمخلوق بجهل الصبودية تحت ظل سلطانه خيرا من كل ما يتصور من رضوان الله ونعيمه في الآخرة أو مثله وخيرا من الحرية والاستقلال المطلق في الدنيا فان « المقررات » التي يطالب ملك الحجاز الانكليز بتنفيذها عبارة عن تأليف انكلترة حكومة عربية له تتولى هي صيانتها والمحافظة عليها في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل حتى الدسائس الداخلية واعتداء الحاسدين له من امراء العرب كما صرح به في كتابه الذي كتبه الى نائب الملك في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ وهو الكتاب الذي يسميه « مقررات النهضة » وهو الآن يقول ان مؤتمر الصلح لو قرر له الاستقلال التام المطلق من قيود تأليف الانكليز لحكومته وحفظها له في داخليتها وحماية حدودها ومن غير ان تكون البصرة « تحت اشغال العظمة البريطانية » كما اقترح من تلقاء نفسه — وفلسطين لليهود الصهيونيين وسورية للفرنسيس كما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لو قرر اه مؤتمر السلم على هذا بدون وساطة « العظمة البريطانية » وقبله يكون مطرودا من رحمة الله تعالى كما يأتي لعنه الله ومن المعلوم أن « العظمة البريطانية » لم تنفذ تلك المقررات التي جعل تعديلها سببا موجبا لخروجه مع أولاده من الحجاز أو بلاد العرب الى حيث تختار لهم العظمة البريطانية ، وهي لا تختار لهم الا الامكنة التي هم فيها فانهم لا ينفعونها في سواها .

شماتة سائس الحجاز بالكماليين

والمسألة الثانية مما انفرد به سائس جريدة القبلة في الرد علينا هي التماسه من صاحب المنار « ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه الآن : أهم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية ؟ » وقفى على هذا السؤال بذكر ما نقلته البرقيات من عزم الكماليين على اخلاء أنقرة ليظهر للناس خطأ صاحب المنار بتنويهه بهم وتفضيلهم على زعماء الحجاز يعني انهم غلبوا على أمرهم ولم يستطيعوا ان يفعلوا شيئا ، وطالما أظهرت جريدة القبلة الشماتة بهم . وجوابنا أننا نحمد الله تعالى أننا لم نر هذه الشماتة بالترك وسرور سائس جريدة القبلة بانتصار الصليب على الهلال كسروره من قبل بفتح القدس وبغداد ودمشق الا بعد ان نصر الله الكماليين على اليونان وأقصوهم عن أنقرة مذءومين مدحورين ، وليعلم سائس القبلة أن العالم الاسلامي لا يحتاج الى مرشد يرشده الى من يقتدي به من فريقي القسطنطينية وأنقرة ، فعقيدة المسلمين الدينية وشعورهم الاسلامي خير مرشد يرشدهم الى ضد ما تنشهم به جريدة القبلة المخالفة للرأي العام لاهل القبلة ، وهم يعلمون أنه لا خلاف بين أنقرة والاستانة في نفس الامر وانما ابتليت القسطنطينية بالاحتلال الاجنبي فقامت أسود أنقرة بواجب الدفاع عنها مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل انقاذ بلادهم كلها وسلطان خليفتهم من السيطرة الاجنبية التي يفتخر سائس القبلة وحكومته الحجازية بالخنوع لها طوعا واختيارا بمثل ما نقلناه عنها آنفا . نعم ان الاستانة خدعت أولا بدسائس الاجانب فوجد فيها من عد الكماليين عصاة ولم يكن ذلك ميلا للعالم الاسلامي الى زعماء الحجاز الذين اختاروا لانفسهم ان يكونوا آلات لاولئك الاجانب ولكن الاستانة لم تلبث ان ثابت الى رشدها وعرفت للكماليين فضلهم عليها وعانق مندوبها في لندن مندوب انقرة . أليس صاحب المنار صادقا في حكمه بان زعماء أنقرة سجلوا لأمتهم الاسلامية لا لشعبهم التركي وحده الفخار والمفاخر وزعماء الحجاز سجلوا على انفسهم وأعوانهم .... ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هل اخراج الترك من سورية مفخرة للحجاز

وأما المسألتان الثانية والاولى منهما نقلتهما جريدة القبلة عن نصير عاو هي إن زعماء الحجاز هم الذين أخرجوا القائد الالماني الذي كان أحد قواد جيش الدولة العثمانية من سورية الخ وجوابنا عنها على فرض التسليم أننا نمدها من أعظم النكبات التي أصابت العرب والاسلام بشؤمهم بسلبهم هذه البلاد وغيرها من الدولة الاسلامية التي جعلت لاهلها من الحقوق في الدولة مثلما للترك فيها ليحل محلهم فيها الانكليز واليهود الصهيونيون والفرنسيس وحالة أهل البلاد معهم معروفة. ولكن سائس القبلة ودكتوره من طائفة الدروز ومن أيده كرياض أفندي الصلح من طائفة أهل السنة من المسلمين يفضلون أخذ الافرنج للارض المقدسة والارض المباركة (سورية) على سلطان الترك عليها ويخالفهم في ذلك العالم الاسلامي كله والسواد الاعظم من أهل سورية حتى النصارى الكاثوليك كما يعلم ذلك المختبرون لحال البلاد ، ولقد قلت في شهر مارس سنة ١٩٢٠ لموسيو روبير دوكيه ناموس الجنرال غورو أخبرني رجل من أشهر انصاركم وأعلمهم بحال البلاد انه لو خير اهل لبنان حتى الموارنة منهم بينكم وبين الترك لفضل الترك عليكم ثمانون في المئة من أنصاركم الموارنة فما القول بغيرهم؟ فقال اننا لم نعلم شيئا من هذا ولكن دون هذه النسبة. وقد قرأنا من قبل في جريدة القبلة ما لا يتشاءم فيه سائسها من انتصار الكماليين على اليونان وينبه الانكليز الى مافيه من الخطر على سورية ويعرض حكومته لتلافي هذا الخطر ، ولما أشيع خبر استيلاء اليونان على مدينة انقرة — وكنا في مدينة جنيف بسويسرة — اظهر رياض افندي الصلح السرور وعلله بأن انتصار الترك ربما يفضي الى زحفهم على سورية ؛ قلت وهل تفضل الفرنسيس على الترك قال نعم انه يفضل عليهم حتى الفرنسيس واليونان ، وتفضيله للانكليز بالاولى ، نعم انه لا يفضل ذلك على الاستقلال ؛ ولو أن سورية نالت الاستقلال بما يفتخرون به مما ذكر لكان لهم أن يفخروا ولما نوزعوا في الفخر ولو باطلا كما ينازعون به بعد هذه العاقبة السوءى لعملهم المبني على الفساد من أول يوم

من سلم دمشق لفرنسة ؟

هذا وان من الجلي البين أن نجيح سائس جريدة القبلة نقلا واقرارا باخراج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العثمانيين من سورية هو نص صريح بأنهم كانوا هم الذين فتحوها للانكليز والفرنسيس الذين اقتسموا الولايات العربية العثمانية في اثناء الحرب، وقد هنأهم ملك الحجاز بهذا الفتح المبين. ثم أن شبله الملك فيصل بذل جهده لجعل سورية للانكليز وحدهم باسم الانتداب المبتدع فلما أعلموه بالقسمة اتفق مع موسيو كلمنصو على إقناع سورية الشمالية بالانتداب الفرنسي فكان صاحب المنار في طليعة المعارضين له قبل عقد المؤتمر السوري العام ثم وانتخابه رئيساله وبعد ذلك؛ وهو لم يستطع قبول انذار الجنرال غورو والخضوع للانتداب الذي سيم خسفه الا بعد تعطيل المؤتمر، وقد صرح في البرقية التي أرسلها الى الجنرال أنه قبل الانتداب بالرغم من ارادة الامة وعرض نفسه وحكومته للخطر، ومن المعلوم أن المؤتمر كان اكبر ممثل للامة لانه هو الذي أعلن الاستقلال ونصب فيصل ملكا باسم الامة فاذا كان سائس القبلة ينكر هذا او يماري فيه فاننا ننشر نصوص البرقيات التي ارسلها الملك فيصل الى الجنرال غورو وما احتف بها من الحوادث خصوصاً اتهام فيصل للمؤتمر بانه قرر خيانته وقتله وما خاطبته به في هذه المسألة وغيرها.

اليس من غرائب شؤون البشر ان يقول العالمون بهذه الحقائق ان صاحب المنار هو الذي ادت مواقفه الى تسليم البلاد الى الجنرال غورو !! ثم يعللون ذلك بزعمهم تهكما أنه ادعى انه كان هو الآمر الناهي في دمشق يولي من يشاء ويعزل من يشاء ؟ وهل يمكن ان يصل احد الى سفه نفسه بمثل هذا الا بخذلان من الله ؟

من حمل أمير مكة على الثورة

وأما المسألة الثانية مما نقلته القبلة عن نصيرها وهي زعم الدكتور طليع الذي ارتضاه سائس القبلة — ان صاحب المنار اشار على ملك الحجاز بمداوة الاتحاديين فأفضت العداوة الى قتال الترك لان امر الدولة كان بأيدي الاتحاديين — فهي تضليل ظاهر وافك بين فان صاحب المنار انما ذهب الى الحجاز حاجا بعد خروج امير مكة على الدولة وقتاله اياها واستمانته عليها بالدولة البريطانية التي ايدته بأساطيلها وبعض الجنود المصرية وبذلك غلبت الحامية العثمانية التي كانت بجدة ومكة والطائف وفي تلك الاثناء نصحنا له بما اشرنا الى بعضه في بعض المقالات تحت اشراف المراقبة الثقيلة على المنار وصرحنا ببعضه في مقالة الحقائق الجلية واهمه التحذير من عداء الامة التركية وان يكون من أسباب سقوط الدولة العثمانية، وان يحصر عداوته في خطة الاتحاديين الطورانية، وانكار قسوة جمال الوحشية، حتى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يبقى للصلح بينه وبين الدولة موضع كما صرحت بذلك في خطبتي التاريخية في احتفال العيد بمنى واظهر لي القبول وكان هذا ممكنا

وبعد العودة الى مصر انكرت في رحلة الحجاز على بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز امتهان الدين، وفضلت عليهم من كنا ننكر عليهم من الاتحاديين، فبادرت الحكومة الحجازية الى عقابنا على هذا بمنع مجلة المنار من دخول الحجاز، ثم استرسلت في اعمالها السياسية والحربية بما كنا ننكره عليها ولا نستطيع مقاومتها بقول صريح، ولقد استغربنا اقرار سائس القبلة ماذكر من سخف نصيره والمحامي عنه ولا سيما زعمه انه «ما حمل جلالة ملك الحجاز لمناوئتهم (؟) الا كذا وكذا. فهل كان امير مكة يقرأ مقالات المنار في الانكار على الاتحاديين وكانت عنده من الاسباب التي حملته على موالاة انكلترة ومساعدتها على قتال الدولة العثمانية ؟؟ أم كان ذلك بفعل الدسائس والجنيهات الانكليزية ؟؟

كلا ان ما كتبناه في الانكار على ما اتاه بعض الاتحاديين المارقين قد كان مغايظة ونصرا لجمعية علماء الاستانة وللاحزاب العثمانية المخالفة لهم من حيث هم حزب سياسي لم يقدر المركز الديني للدولة حق قدره وفتن بالعصبية الطورانية حتى كان جميع المتدينين خصوما له وان لم تظهر لهم حقيقة الغلاة من زعمائه الا بالتدريج، ولم يكن في شيء من ذلك تحريض على الترك ولا على الدولة بل كان انتصارا لها. وقد علمت في أوربة أن السواد الاعظم في الاستانة والاناضول صار خصما لاولئك الغلاة وائتمروا بالفتك بهم بعد انتهاء الحرب. ونحمد الله تعالى ان ظهر للجميع خطأ تلك العصبية الجاهلية التي أنكرناها عليهم واجمعوا على صحة رأينا، وسنبين ذلك في الرحلة الاوربية ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾ افترى الدكتور طليم علينا ما شايعته عليه جريدة القبلة من زعمه اننا كنا نحرض على الترك وان ذلك كان من أسباب خروج أمراء الحجاز عليهم وغرضهما من ذلك معروف جلي. والا فليأتونا بنص من المنار يؤيد زعمهما. كما افترى علينا الدكتور طليم بأننا كنا مؤيدين لملك الحجاز في عداوته وقتاله للترك الى عهد قريب. والصواب اننا كنا في أول العهد بالثورة غير مطلعين على دخائلها وأسبابها فظننا انه يمكننا أن نوفقها عند حد ما يسميه المنافقة قضية مانعة الخلو وهو اما ان تنفع واما ألا تضر وبذلنا ما استطعنا من النصح في هذه السبيل، وقد رأينا كلام الرجل في مكة وان صرح في خطبة منى العامة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جهرا بأنه لم يعبر احد عن رايه من غير تواطؤ قبل خطبتنا في تلك الحفلة. ونحن نذيل هذا الرد بنص بلاغ حكومة الحجاز الرسمي بمنع المنار من الحجاز الذي منعتنا المراقبة من نشره في ايام الحرب . وهذا نصه منقولا عن عدد ٧٨ من جريدة القبلة الذي صدر في ٢٣ رجب سنة ١٣٣٥

منع مجلة المنار

من البلاد العربية الهاشمية

جاءنا من وكالة الداخلية البلاغ الآتي :

«ان ماورد في مجلة المنار (عدد ٦ ؛ مجلد ١٩ ، الصادر في محرومبئة مصر في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥) من التعريض بمن قدم اليها من ابناء العرب والتحامل عليهم لاتعتبره الحكومة العربية الهاشمية الا مقصوداً به الحط والنيل منها ، اذ ان الافاضل النجباء المشار اليهم اجل وارفع من ان تمسهم شائبة مما رمتهم به المجلة المذكورة كما هو معلوم ، وانهم لاذنب لهم في حياة الشيخ المعروفة الا انضمامهم الى حكومتنا العربية ، ولا جريمة تستلزم غيظه وغضبه على حكومتنا — وهي لم يمض عليها الوقت الكافي لاحتدام هذا الغيظ والغضب — الا ما عساه ان يكون مما اشير اليه في الكتاب المرسل للفاضل الاجل حضرة رفيق بك المظم الذي توجه الى مراجعته انظار الافاضل من انصار الحقيقة (١)

وان هذه الحطة تذكرنا بكلمة المرحوم المبرور الشيخ علي يوسف وقد اختصر واوجز عند ما اريد اسقاط مؤيده في دمشق فقال « انهم لم يرفعوا المؤيد حتى يسقطوه » (٢)

ولما كان مسلك الحكومة العربية الهاشمية يخالف ما كان من هذا النوع

(١) المنار : اننا لم نطلع على ذلك الكتاب الى اليوم ولم نكتب ما كتبنا يومئذ ولا أمس واليوم الا لما يجب من بيان الحق والنصح للخلق (٢) نقول بمناسبة هذه العبارة أن منع الحكومة الحجازية للمنار كان زيادة في رفعة قدره وحطة قدرها ولله الحمد وهذا القول الرسمي يكذب دعوى كون كلامنا كان من أسباب الثورة الحجازية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من المناقشات الناشئة عن الاغراض النفسانية التي تأباها شيم فوميتنا وشهامة امتنا، فتلافيا لضرر ما صدر من حضرة الشيخ صاحب المنار في هذا الباب امام الامم والشعوب لاسيما في الآونة الحاضرة، ودرءاً لما ينطوي تحت التمادي في ذلك من المساوئ المغايرة لشعار عنصرنا الشريف قد تقرر منع دخول تلك المجلة الى الممالك الهاشمية (١). وقد ابلغ ذلك لمدير عموم دوائر البرق والبريد ومديري الجمارك في الثغور. وهذا اول وآخر جواب تعده الحكومة لكل ما كتب ويكتب من هذا القبيل » اه

تقريظ المطبوعات (*)

الفجر مجلة علمية عمرانية اخلاقية يحررها نخبة من أفضل الكتاب صفحاتها ٢٤ بقطع المنار تصدر في الشهر مرة واحدة وتطبع على ورق جيد طبعا نظيفا وادارتها (بنهج اقليتره عدد ٢٥ بتونس) وقيمة الاشتراك بها ستون فرنكا ويمكن الاشتراك بواسطة مكتبة المنار بمصر

صدر الجزء الاول من المجلد الثاني من هذه المجلة مدعما بالمقالات النافعة والنبذ المفيدة مما برهن على مضي المجلة في سبيلها القويم وذكر في صدر هذا الجزء ان المجلة فتحت باب الانتقاد والتقريظ ونقد المؤلفات الحديثة وانها عزمت على نشر [illegible]